الفصل السادس

الإسلام والغرب .. رؤية مستقبلية

الفصل السادس

الإسلام والغرب .. رؤية مستقبلية

مقدمة :

بدا واضحًا أمام الغالبية العظمى من المهتمين بإنهاء الصراع المحتدم حاليا بين الديانات والحضارات المختلفة، والذى تعددت صوره، ودرجات حدته من التراشق بالاتهامات إلى التراشق بالأسلحة المدمرة دون تحقيق النصر النهائى لأى طرف، فالطريق الوحيد المتبقى هو التحاور بهدف إيجاد حد أدنى من الأسس المشتركة للتعايش السلمى ونبذ العنف. وذلك لأن أطراف الصراع الحضارى لم تستطع إلى الآن الوصول إلى قاعدة ثابتة مشتركة تنطلق منها إلى تحقيق المزيد من نقاط الاتفاق وتضييق الهوة الأيديولوجية والعقدية بينها[1].

لقد عقد العديد من المؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية وألفت الأبحاث والمقالات على اختلاف أحجامها ودرجة موضوعيتها، غلب على بعضها الطابع السياسى والحضارى العام، وعلى بعضها الآخر الطابع الدينى المتخصص أو الخطابى.

وقد تراوحت الآراء بين الإفراط فى التفاؤل أو التشاؤم حول مدى جدية واحتمالات نجاح هذا الاتجاه فى التقريب بين وجهات النظر والمنطلقات الدينية والحضارية المختلفة والتى وصلت فى بعض الجوانب إلى حد التعارض الصريح، حيث تعاظم أثر التراكمات التاريخية السلبية فى تعميق الهوة الثقافية بين طرفى الحوار الإسلامى والغربى، ولا عجب فى ذلك فى عصر أصبح فيه العنف والعنف المضاد أمرًا عاديا، لا يخلو منه مجتمع ينفجر فجأة ويخرج عن السيطرة بسرعة وبشاعة مذهلة. كما تضاءل الفارق بين النصر والهزيمة إلى حد يكاد لا يستحق الذكر. كان العنف ينفجر ويتفاقم عبثًا وبلا مبرر يمكن فهمه، لقد أصبح العنف لا يبرر إلا بالعنف، أو بأن الإنسان المعاصر قد أصبح كالأنعام أو هو أضل سبيلًا[2].

وينبغى علينا – المسلمين – أن نلجأ إلى التخطيط وإحداث التنمية على مستوى العالم الإسلامى ، بما يمكننا من التسلح بتقنية المعلومات وامتلاك القدرات الضرورية لمعالجة

(١،٢) السيد محمد الشاهد: مرجع سابق،ص٨٣٧ .

ما يواجهنا من تحديات يفرضها هذا النظام العالمى الجديد أو يطرحها عصر المعلومات فى كل يوم.

والحقيقة تتمثل فى كلمتى: إحياء وتحديث، فالإحياء: يعنى الإقرار الموضوعى بأن ظروفًا تاريخية معقدة وشديدة الوطأة أدت إلى إضعاف معالم الحياة وقدرات التأثير التى كانت تتمتع بها تقاليد التسامح والتعايش والمساواة والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمعات، وأن هذه التقاليد تحتاج إلى مجهود إرادى وقوى الوعى بمكونات هذه التقاليد وتأثير الظروف التاريخية عليها، من أجل إحيائها .. وإشاعتها، وتحديثها وفق معطيات المعرفة والمجتمع المتجددة[1].

وبعد هذه الوقفة حول حقيقة الإسلام والغرب، وحضارتيهما ومكانتيهما فى العالم، وهى وإن كانت مطولة، فإنها تضم جوانب من أهداف البحث التى تتمثل فى فهم مميزات العلاقة بينهما، ورصد نقاط الاتفاق لترسيخها، ونقاط الاختلاف (الشقاق) لمناقشتها والعمل على معالجة أسباب تأخر الوفاق بين الإسلام والغرب، والحوار بموضوعية قصد تحقيق التعاون والتعايش السلمى، وإقامة المستقبل المشترك.

من أجل حوار هادف مع الغرب:

من أجل حوار هادف – جديد – مع الغرب يجب علينا أولًا أن نؤسس لحوار جديد ومختلف مع أنفسنا على الأسس التالية[2]:

١ -تربية العربى المسلم على تقبل العربى المسلم الآخر، وكذلك مواطنه الآخر غير العربى أو غير المسلم، أن تقبل (الغير) من المواطنين فى الوطن – تعايشًا وتحاورًا وتسامحًا – هو الشرط الأول لأى مشروع حوار حضارى أو سياسى مع الغرب أو الشرق، ومن يلغ أو يضهد مواطنة (الآخر) فكيف يمكنه أن يحاور ويعايش الآخر المنتمى إلى قوميات وديانات وحضارات أخرى؟

إن العصبيات والمذهبيات والطوائف والإثنيات لا يمكن أن تكون (القاعدة) والمرجعية لأى مجتمع يواجه تحديات العصر الحديث (العولمة – تكنولوجيا المعلومات – النظام العالمى الجديد – ...). وإذا بقيت هى المرجعية فى التعامل الوطنى فلا منجى من خيارين:

---

(١) محمد وجيه الصاوى: مرجع سابق، ص٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص-٢٤٢-٢٤٣.

الأول: إما استبداد عصبية على غيرها بالقوة لبعض الوقت.

الثانى: وإما الحرب الأهلية فى النهاية بين مختلف العصبيات وتحلل الدولة والوطن، فلا مفر إذن من التعايش مع الآخر فى الوطن، قبل التوجه لمحاورة الآخرين فى العالم الكبير، وإلا فإن حوار الحضارات الذى أصبح صيحة العصر سيبقى بلا مضمون بل سيكون نفاقًا وتضليلًا للنفس .. وسيظل من الباعث للسخرية تحاور بعض المسلمين مع رجال (الفاتيكان)، وإخفاقهم فى محاورة (النجف) أو (الأزهر).

٢-أن تضع السياسات التربوية فى المجتمعات العربية والإسلامية فى مقدمة أهدافها تقديم مقررات فى الثقافة العامة، تشرح مختلف عناصر التراث الإسلامى والحضارة الإسلامية بصورة موضوعية رصينة ومسئولة إلى الأجيال الجديدة، أعنى تحديدًا أن يعرف السنة عن الشيعة، والشيعة عن السنة، والزيود (الزيدية) عن الشافعية، والشافعية عن الزيدية .. ثم كل هؤلاء عن المعتزلة، والأشعرية، والمتصوفة، والظاهرية، ... إلخ، ما يوفر أساسًا علميًّا حقيقيا للفهم والتفاعل بمنأى عن التفسيق والتكفير بين المذاهب والفرق.، مثلما يحدث الآن فى العراق بين السنة والشيعة.

٣-التنوير الثقافى العام بشأن المعطيات الحضارية الإنسانية المختلفة التى صبت فى كيان الحضارة العربية الإسلامية، سواء من حضارات الشرق الأدنى من بابلية، وسومرية ومصرية قديمة، .. إلخ، أو من الحضارات الفارسية واليونانية والهندية والصينية، التى اقتبس منها العرب والمسلمون باختيارهم ومن موقع القوة والثقة بالنفس.

وإن كل حضارة إنما تعبر عن روح الأمة التى تبدعها أو روح الشعوب التى تنشئها، فهى تعكس القيم والمبادئ والمعتقدات التى تنبثق عنها، فلا تنشأ الحضارة من فراغ، لأنها (نظام اجتماعى يعين الإنسان على الزيادة فى الإنتاج الثقافى، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: (الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون)، وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق. وإن (النظم السياسية) و (التقاليد الخلقية) و (متابعة العلوم والفنون)، إنما تقوم على عقيدة وإيمان، وعلى منظومة قيم أخلاقية، وعلى منهج متماسك ومتكامل، وعلى تصور شامل للإنسان وللكون وللحياة. فهذه القاعدة هى المنطلق الأساسى لنشوء الحضارة فى أمة من الأمم[1].

(١) عبد العزيز بن عثمان: علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى تفاعل لا صراع صـ٣٣٨، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق.

نقاط وفاق (اتفاق) بين الإسلام والغرب:

إن بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية جسورًا وروابط مشتركة (اتفاق) سواء فى المسار التاريخى أو القيم الأساسية التى تقوم عليها كل من الحضارتين.

أ- ففى المسار التاريخى [١]:

نجد صلات مشتركة بين الحضارتين ، تتمثل فى أن المسلمين نقلوا ـ فيما نقلوا ـ من حضارات العالم الفلسفة اليونانية خاصة المنطق والرياضيات والطب والفلك. ورغم أن الإمام الغزالى – الذى بدا معارضًا قويا لوجود هذه الفلسفة فى الأمة الإسلامية – لم يستطع إلا أن يؤيد المنطق والطب والرياضيات اليونانية وحذر من تجاهلها أو محاربة دورها فى الحضارة الإسلامية، واستثناها تمامًا من نقده اللاذع وجعل هذه العلوم ضرورية، كما حذر أن تتسبب أغلاط أرسطو – الذى كان يسمى (المعلم الأول) فى الفكر الفلسفى الإسلامى – فى التقليل من شأن هذه العلوم اليونانية.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد تأثرت بهذه العلوم اليونانية، فقد أعادت هذه العلوم مرة أخرى ومعها الفلسفة الإنسانية والإلهية إلى أوروبا عن طريق الفيلسوف الإسلامى (ابن رشد) ومن سبقه من فلاسفة المسلمين فى المغرب والمشرق، بحيث كانت أفكار ابن رشد وفلاسفة الإسلام هى أشعة التنوير للعقلية الغربية – الأوروبية – فى نهضتها الحديثة، وابن رشد والرشديون من فلاسفة أوروبا هم الذين أحدثوا الزلزال الذى أسقط التخلف وكشف الغشاوة عن العقلية الأوروبية وزودها بأفكار التحرر والنهوض، فأقامت بناء العلم الأوروبى الذى نشهد تطوراته المتسارعة.

ويقول (بريفولت) فى كتابه «بناء الإنسانية»: «وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب، ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه». ويقول أيضًا: «أما ما ندعوه العلم، فقد ظهر فى أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحقة لطرق التجربة، والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات، إلى صورة لم يعرفها اليونان. وهذه الروح، وتلك المناهج العلمية، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبى».

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: العلاقة بين الإسلام والغرب ص٨٥٢، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق.

إذًا هناك نماذج أصيلة فى بناء الفكر فى الحضارتين الإسلامية والغربية، لا يمكن تجاهله أو فهمه فى المسار التاريخى.

ب-أما فى جانب القيم، فإن القيم التى تقوم عليها الحضارة الغربية – فى أصولها – مشتركة مع الحضارة الإسلامية – فى نقائها.

فقيم الحرية، والعدل، والشورى، والمساواة، والعلم، والعمل، والملكية الفردية، حقوق الإنسان، والتسامح، والتراحم، والتكافل، والتعددية فى الحكم وحرية التعبير عن الرأى، والجمع بين المادة والروح، والمحافظة على سلامة البيئة، وتحريم الظلم الاجتماعى، والتعاون والتفاهم، تلك التى تمثل أسس الحضارة الغربية تجد لها مكانًا رئيسيا فى الحضارة الإسلامية.

وجود علاقات ثنائية بين الإسلام والغرب:

نود أن نقول بأن الإسلام لم يكن يومًا ما عدوًا للحضارة الغربية القديمة أو الحديثة، فضلًا عن قناعة المسلمين بضرورة وجود علاقات ثنائية متبادلة فى شتى المجالات بين الإسلام والغرب، لكن الغرب هو الذى يعادى الإسلام، إلا أنه ليس من الإنصاف أن نصف الغرب كله بأنه معادٍ للإسلام، فنحن عندما نتحدث عن الغرب نتحدث عن إدارة، فهل عندنا – المسلمين – رغبة فى العداء للغرب؟ لا والله، فالغرب هو الذى رشح الإسلام بأنه العدو البديل عن المعسكر الشرقى – الشيوعية – أى: بعد انهيار (تفكك) الاتحاد السوفييتى.

فالإسلام ينظر إلى البشرية نظرة سماحة وتعاون وإخاء ومودة ورحمة فالقرآن يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات].

فالغرب فى الشريعة الإسلامية «أهل الكتاب»، «التوراة والإنجيل». وخاصة النصارى حيث هم أقربهم مودة للمسلمين، قال تعالى:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[المائدة].

وفى أيام الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفييتى، كان العالم الإسلامى مع

المعسكر؛ الغربى، لأنهم أهل كتاب، أما الاتحاد السوفييتى ، فهو يمثل الشيوعية التى لا تؤمن بإله ولا دين، ولا تشريع سماوى، ... الخ.

فالإسلام «العالم الإسلامى» لا يعادى الغرب، ولكنه يكره الظلم، فالله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آل عمران]. فالعدو يصبح صديقا لك إذا غير موقفه، فالقرآن الكريم يقول: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الممتحنة].

فيجب على الغرب أن يمد يده إلى هؤلاء – الإسلام والمسلمين – وهنا يكسب هذا العالم الإسلامى الكبير بدون حرب أو تصادم حضارات، ثم بالتفاعل الإنسانى يكسب شعوب العالم الإسلامى.

قيمة الحرية:

قيمة الحرية واضحة فى النصوص الإسلامية المقدسة من القرآن والسنة، كما تبدو واضحة فى التطبيق العملى، وفى الواقع الإنسانى فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية خاصة فى أيام الخلفاء الأربعة الراشدين، وفى القرنين الثالث والرابع من أيام العباسيين وفى الحضارة الإسلامية فى الأندلس. فالإسلام يجعل العقيدة اختيارًا حرًا مباشرًا بين الإنسان وربه،لا دخل لأحد فى تشكيلها أو الإكراه عليها،قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة ٢٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] ، ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية] .

وقيمة الحرية قد برزت فى جوانبها المتعددة العقدية والسياسية والاقتصادية بوصفها أولى القيم الفاعلة فى الحضارتين – الإسلامية والغربية .

وإذا كانت هذه القيمة – الحرية – بالذات هى أساس النهضة الأوروبية الحديثة ،فهى بنفسها القيمة التى كانت أول ما تعلمه فلاسفة النهضة من تراث المسلمين فى الأندلس.

وإن أول مرتكزات الحضارة الإنسانية إسقاط الوساطة بين الإنسان وربه ، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] .﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة] ،

ومن هنا كان الرسول ﷺ بشرًا تجرى عليه قوانين الحياة والموت، ولكن حياته وموته لا يؤثران فى وصول الرسالة الإلهية إلى الإنسان.

فالرسول ﷺ كان مبلغًا ولم يكن وسيطًا بين الإنسان وربه، وهذا واضح من خطبة الوداع – حجة الوداع – عندما قرأ الرسول ﷺ: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة :٣].

والخلفاء الراشدون –ومن جاء بعدهم من الحكام والعلماء – ليسوا إلا مبلغين بالرسالة، ولم يكونوا وسطاء أو كهانًا، وقد شاع على ألسنة الناس – الأئمة – عبر العصور فى الحكم على الناس: «لنا الظاهر والله يتولى السرائر». وقد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[الأحزاب].

والذى يطلع على فكر فلاسفة النهضة الأوربيين وآرائهم يدرك بجلاء التوافق التام بين قيمة الحرية فى الثقافة الإسلامية وبين فكر هؤلاء، بحيث يمكن أن نرى توافقًا كاملًا بينهم وبين بعض مدارس الحضارة الإسلامية التى تبدو فى بعض الأحيان كأنها النبع الذى شرب منه هؤلاء وارتوت منه عقولهم. فهذا هو (فولتير) الذى يعد أقوى النقاد الساخرين من رجال الدين فى العصور الوسطى وكان بحق: «أكبر عامل على نشر هذه الروح – الساخرة – واستطالة أثره إلى أيامنا»، ويبدو تأثره بالثقافة الإسلامية حتى يكاد يردد نفس القضايا بأدلتها الإسلامية – تقريبًا – فى الدين والحرية.

وكثيرًا ما كان (فولتير) يردد دليل العلل الغائية الذى كان يعتبره نيوتن أقوى الأدلة، «حين أرى ساعة يدل عقربها على الزمن أستنتج أن موجودًا عاقلًا رتب لوالبها لهذه الغاية، وكذلك حين أرى لوالب الجسم الإنسانى أستنتج أن موجودا عاقلًا رتب هذه الأعضاء، وإن العينين أعطيتا للرؤية، واليدين للقبض .. إلخ » ، وهذا الكلام أشبه ما يكون فى الثقافة الإسلامية بالحديث عن الأثر ودلالته على المؤثر وهو نابع فى هذه الثقافة من حديث القرآن باستمرار عن مظاهر الكون فى السموات والأرض ووجوه الإبداع والعناية فيها ودلالتها على الخالق سبحانه وتعالى[1] . حيث قال تعالى فى ذلك :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص٨٥٧،٨٥٨.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس].

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾

[الأحزاب]

بل يشتد التقارب والاتفاق المشترك بين ثقافة (فولتير) – بوصفه أكبر باعث ومعبر عن روح النهضة الغربية – والثقافة الإسلامية عند إيمان فولتير بوجود ، الله وأن هذا الإيمان يزداد باعتبار أن القول بضرورة العالم (أى وجوده بالضرورة من غير إله) ينطوى على صعوبات ومتناقضات لا ينطوى على مثلها القول بوجود الله، وهذا يعيد إلى الأذهان الجدلية القائمة فى الثقافة الإسلامية حول القول بقدم العالم وحدوثه، ويتشابه كلام (فولتير) هنا إلى حد الاتفاق التام مع كلام أبى البركات البغدادى، وابن طفيل، وابن رشد من أن الاعتراضات التى توجه إلى القول بقدم العالم والاعتراضات التى توجه إلى القول بحدوثه لا تنفى وجود إله يحتاج إليه هذا العالم بالفعل [1] .

ولنأخذ فكرة أخيرة (لفولتير) فى أهم مدخل للحضارة الأوربية فى الحرية لنجد الاتفاق الكامل بين فكره وفكر المعتزلة فى الحرية الإنسانية وصلتها بالإرادة الإلهية.

(فلفولتير) يرى أن حرية الإنسان لا تكمن ولا تتمثل فى حرية إرادته فقط بل تتجلى فى قدرته على تنفيذ الفعل الذى يريده بحرية، وبمعنى آخر : العاجز لا تظهر له حرية ما لم تعط له القدرة على تنفيذ الفعل المراد ، فهو يقول: «إن حريتى تقوم فى أن أمشى حين أريد أن أمشى، ولا أكون مصابًا بالتقوس»، وكأن (فولتير) صوت للمعتزلة الذين قالوا: «إن الإنسان مختار لا فعاله بحرية وهو يوجدها بقدرة أودعها الله فيه»، ومن ثم كانت المسئولية فى الفعل الإنسانى على الإنسان؛ لأنه أعطى حرية الإرادة، وأعطى القدرة على الفعل الذى يختاره بحريته [2] .

وهنا هو الذى يتضح من نصوص القرآن، فالعاجز غير مسئول ولا مكلف. قال تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق: ٧].﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة :٢٨٦] . ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وإذا كانت قيمة الحرية على هذا القدر من التشابه الذى يصل إلى حد الاتفاق والتطابق،

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص ٨٥٨.
(٢) المرجع السابق، ص٨٥٩.

كما رأينا بين الحضارتين، وكانت هذه القيمة لها آثارها فى الثقافة والديمقراطية، فإننا يجب هنا أن ننبه إلى أن جوهر الحرية فى الثقافة العربية الإسلامية يسمح بديمقراطية أوسع مفهومًا من الديمقراطية الغربية.

قيمة الديمقراطية:

أيا كانت أشكال الديمقراطية هنا أو هناك فليست وقفًا على شكل معين، المهم أن أشكال الديمقراطية التى تحقق الحرية والمساواة والعدالة مهما تنوعت فإنما نجد أصولها فى الحضارة الإسلامية فى القرآن والسنة، والتطبيقات النقية فى كثير من صور الحكم فى تاريخ الإسلام، بحيث تستوعب حضارة الغرب وتتجاوزها بآماد بعيدة تحقيقًا للحرية والعدالة والمساواة.

وهذه النقطة من التشابه والاتفاق بين الحضارتين – الإسلامية والغربية – لا يجب أن تغطيها فى أعين المتعصبين مواقف وأفعال بعض المستبدين هنا أو هناك.

فالديمقراطية الغربية – على كثرة محاسنها التى نتعرف بها بكل موضوعية – تبدو أمام الحضارة العربية الإسلامية مجرد إجراءات لتحقيق الشورى الإسلامية، فالشورى قيمة، لكن الديمقراطية إجراءات، وكثيرًا ما تتخلل الديمقراطية الغربية سلبيات تجعلها عاجزة عن تحقيق الشورى الإسلامية، عندما تتحكم فيها سيطرة رءوس الأموال والاحتكارات الكبرى، بحيث تعد عملية انتخاب الرئيس فى النهاية رأسمالية، تتكلف الأموال الضخمة التى لا يستطيع المرشح ولا الحزب توفيرها، وإنما توفرها الشركات العملاقة والاحتكارات الضخمة، فالرئيس فى كثير من الديمقراطيات الغربية فى نهاية الأمر هو منتخب من هذه الشركات فى الحقيقة ،وصوت هذه الشركات أكثر مما هو صوت الشعب أو الأمة، بما تملك هذه الشركات من قوى التأثير على الرأى العام وسوقه إلى ما تريد[1].

وهذه السلبيات قد تضعف من تحقيق الديمقراطية التى هى رغم كل هذه السلبيات هى قيمة أساسية من قيم الحضارة الغربية، لكن الممارسات الواقعية البشرية التى تفعل مفعولها فى إضعاف هذه القيمة – الديمقراطية – وتحقيق هدفها على الغاية المنشودة، مما يؤكد أن هناك مساحة فاصلة بين النظرية والتطبيق، تدل عليها ممارسات الزعامة بعد الانتخابات واستفتاءات الرأى العام التى يولع بها الغرب فى قياس أداء الزعماء.

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص٨٦١.

نفس هذه المساحة الفاصلة بين فلسفة الحرية – الديمقراطية – فى الحضارة الغربية وواقع التطبيق فى هذه الحضارة، تجدها أيضًا بين قيمة الحرية – الديمقراطية – فى الحضارة الإسلامية وواقع المسلمين[١].

وعند الحديث عن قيمة الديمقراطية فى العالم الإسلامى يكون التركيز على الواقع وتناسى القيمة فى ذاتها فى نصوص الإسلام ومواثيقه وتطبيقاته الأولى التى تعبر بصدق عن مكانة الديمقراطية فى صُلب الحضارة الإسلامية، بينما عند الحديث عن الديمقراطية فى العالم الغربى نجد التركيز على أصل النظرية فى الحضارة الغربية وتجاهل ما يجرى فى الواقع من أن اختيار الرئيس فى الحقيقة هو اختيار الشركات واحتكارها ونفوذها أكثر مما هو اختيار الشعب اختيارًا حرًا مباشرًا دون ضغوط.[٢].

ومن هنا تظل المقارنة بين الحرية أو الديمقراطية فى الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لصالح الحضارتين معًا إذا قامت المقارنة على أساس الفلسفة أو النظرية أو المواثيق الأساسية للحضارتين، وهذا هو الذى ندعو إليه عند النظر فى الحضارتين، وعندئذ نجد التوافق والاشتراك فى هذه الرابطة الأساسية.

ومن ثم فالتغافل – التجاهل – عن مواثيق الحضارتين هو الذى ينشئ الخلاف بينهما، فالمساحة التى تفصل بين نظرية الغرب فى الحرية أو الديمقراطية والواقع، أشبه بالمساحة التى تفصل بين نصوص القرآن والسنة والواقع والممارسة من جهة أخرى، فهذه النصوص شىء والواقع شىء آخر.

والحضارة الإسلامية فى جانب الحرية حضارة أصيلة؛ لأن النصوص والمواثيق التى تنظم هذه الحرية شىء ثابت من ثوابت هذه الحضارة، أما الإجراءات فهى متغيرة بتغير الأحوال والأزمان ومفتوحة للتصحيح كلما احتيج للتصحيح، والاستفادة من حضارات الغير بما يتماشى مع سياق النصوص والمواثيق، مما يكشف عبقرية هذه الحضارة الإسلامية وملاءمتها لكل عصر، واتفاقها مع كل حضارة بناءة عبر التاريخ، بغض النظر عن واقع المسلمين[٣].

فالنصوص ثابتة فى تأكيد الديمقراطية فى الإسلام، فنجد أنظمة الحكم التى تحقق هذه

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص٨٦٢.
(٢) المرجع السابق، ص٨٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٨٦٣.

الحرية (الديمقراطية) متعددة ومختلفة أحيانًا اختلافًا كبيرًا، لكنه اختلاف فى الوسائل التى تحقق غاية واحدة.

فالطريقة التى تولى بها الخلفاء الراشدون الخلافة لم تكن واحدة، فتولى أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة فى سقيفة بنى ساعدة، لم تكن بنفس الطريقة التى زكى فيها أبو بكر خليفته عمر بن الخطاب ﷺ بشخصه وحده وعرضه على الأمة منفردًا لمبايعة المسلمين له، بينما اختلفت طريقة تولى عثمان بن عفان الذى رشحه عمر بن الخطاب ضمن ستة من المرشحين.

وكانت ثلاث تجارب لاختيار الخليفة قبل على ﷺ مما ترك الأمر مفتوحًا أمام المسلمين ليختاروا أنظمة الحكم على ما يرونه صالحًا لهم عبر الزمان والمكان، وفى ضوء الأسس الأصيلة الثابتة التى تحقق الحرية بالديمقراطية – الشورى – والعدالة والمساواة، فأى نظام يحقق هذه الأسس فهو إسلامى.

قيمة العلم والتجربة:

وبعد قيمة الحرية، والديمقراطية، تأتى قيمة العلم والتجربة، فمنذ أن بدأت الحضارة الغربية الحديثة وهى تعلى من قيمة العلم والتجربة.

لكن العلم بدأ فى أوربا عن طريق الرشديين الذين كانوا متأثرين بطرق متفاوتة بابن رشد – وهو الذى حاول بنجاح التوفيق بين الإسلام والفلسفة اليونانية – وأبرز جسور التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية، من أشهر هؤلاء: الفيلسوف (بونيوناتزى) (١٤٦٢ – ١٥٢٥م) الذى كان أشهر أساتذة باروفا ،تلك الجامعة الأرسطية الرشدية التى كانت تتشبث بتأول ابن رشد لأرسطو ليس فقط فى العقليات بل أيضًا فى الطبيعيات.

وإذا كان مؤرخو العلم فى الحضارة الغربية يتناسون الفلاسفة الرشديين مثل بونيوناتزى (١٤٦٢ – ١٥٢٥م)، وجيرولا موكودانو (١٥٠١ – ١٥٧٦)، ونشيزارى كريمونينى (١٥٥٠ – ١٦٣١)، ويركزون على أصحاب المعادلات العلمية البحتة مثل: ليوناردو دافنشى (١٤٥٢ – ١٥١٩)، ونيقولاكوبر نيقوس (١٤٧٢ – ١٥٤٣)، ولويس فينيس (١٤٩٢ – ١٥٤٠)، وكبلر (١٥٧١ – ١٦٣٠)، وجاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢) فإن هؤلاء الذين يجمع الباحثون على أنهم بواكير العلم فى الحضارة الغربية لا نجد صعوبة فى إدراك التشابه إلى حد الاتفاق الكامل مع الأسس العلمية فى الحضارة الإسلامية، بحيث تبدو الحضارة الإسلامية من ثنايا أفكار هؤلاء تطل بتأثيراتها الواضحة[1].

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، صـ٨٦.

فالفكرة الرئيسية عند (ليوناردو دافنشى) هى الاعتماد على التجربة فى التمييز بين العلم والتخمين والدجل، فكان مقتنعًا بأن العلم ابن التجربة، وأن النظريات التى لا تتأيد بالتجربة نظريات باطلة.

ونقطة التوافق التام بينه وبين ابن رشد تبدو فى الفكرة عن العلاقات بين الأشياء، فقد ذهب (دافنشى) إلى أن التجربة ليست مجرد الإدراك الحسى بل البحث عن العلاقات الضرورية بين الأشياء[١].

ومسألة العلاقات الضرورية بين الأشياء التى خاض فيها ابن رشد حربًا مشهورة وجدلًا فلسفيا وعلميا بحيث يعد علامة بارزة فى جدله مع الإمام أبى حامد الغزالى ومعه متكلمو الأشاعرة الذين ذهبوا إلى أن العلاقة بين الأشياء أو بين الأسباب ومسبباتها علاقة عادية ، لكن ابن رشد أكد أن هذه العلاقة علاقة ضرورية، والفرق بين الفكرتين: أن العلاقة العادية قد تتخلف، لكن العلاقة الضرورية لازمة لا تتخلف إلا عند حدوث معجزة فى عالم الطبيعة تنبئ أن خرقًا للنظام الكونى قد حدث.

إذا الاحترام كل الاحترام للقوانين الكونية الثابتة، ومن ثم كان للعلم عند ابن رشد يقينه، وهو نفسه عند (دافنشى) أى قدرته على استنتاج الظواهر المستقبلية من الظواهر الراهنة[٢].

وعندما نقف أمام فكرة نقف أمام عالم من علماء الحضارة الإسلامية، فالفكرة التى كانت تدور حول القلب، النفس، وماهية هذه النفس وحقيقتها، وأيهما مركز المعرفة: القلب أم الدماغ؟ وهذه الفكرة نفسها انتهت إليها الحضارة الإسلامية بأنه لا يمكن معرفة حقيقة النفس الإنسانية، ومن ثم ركز الإسلاميون على وظائفها ، فعرفها الإمام الغزالى: بأنها لطيفة ربانية عالمة مدركة، وهو منطلق من قوله تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وإن الإمام الغزالى ينطلق من تعريفاته للنفس والروح والقلب من أن كلا منهم لطيفة ربانية عالمة مدركة، هو من منطلق قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص٨٦٧.
(٢) المرجع السابق ص٨٦٧.

﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

ومن بعد هؤلاء الرشديين العلماء الأوربيين الذى وضعوا أوربا على طريق العلم والتجربة، نرى أن الأربعة العظام كما يسميهم (برتراند راسل) وهم: (كوبرنيقوس)، (كبلر)، (جاليلو)، (نيوتن) كانت لهم مكانتهم فى إبداع العلم الأوربى – الغربى – وكانت فروضهم وأفكارهم العلمية تتفق مع روح العلم فى الحضارة الإسلامية.

وهكذا تبدو المنطلقات العلمية الأولى فى الحضارة الغربية متطابقة – متسقة – مع إمكانيات ومقررات الحضارة الإسلامية فى الجانب العلمى، مما يقطع بالتشابه بينهما – الحضارة الإسلامية والغربية – إن لم نقل بظهور العلم الغربى من الشرق الإسلامى.

الكفاح العلمى ومواجهة الجمود بين الإسلام والغرب:

يقول (برتراند راسل) فى وصف هؤلاء الذين أسسوا العلم الأوربى – كوبرنيقوس، كبلر، جاليليو، نيوتن «ولقد كان للرجال الذين أسسوا العلم الحديث مأثرتان لا يلزم أن نجدهما معًا: صبر عظيم فى الملاحظة، وجرأة كبيرة فى صياغة الفروض»[1].

وهاتان المأثرتان، هما بالضبط من مآثر علماء المسلمين وسماتهم الأصيلة مما يقطع بالتشابه (الاتفاق) بين بناة العلم الغربى وعلماء المسلمين إن لم يكن التأثر بهم.

ويكفى أن ننظر إلى مناهج هؤلاء واعتمادهم على التجربة بوصفها أساس البحث العلمى، ولنأخذ أى واحد من هؤلاء العلماء المسلمين لندرك ذلك بوضوح: فالبيرونى: وضع القواعد الثابتة للتجربة، بل وضع ما يمكن أن نسميه باللمسات الأخيرة للمنهج التجريبى، وأوصى بتحرير العقل من الأوهام، وآمن بالحدس الذى سماه توفيق الله – تعالى – حتى إن منهج (ديكارت) الذى كان علامة بارزة فى تاريخ الحضارة الغربية فى حقيقته تجميع من منهجى البيرونى والغزالى حيث أخذ جزء من منهجه فى الشك من الغزالى، وجزءًا من منهجه الرياضى من البيرونى.

كما أن جابر بن حيان هو الذى وضع قواعد المنهج التجريبى من الملاحظة المقصودة للظواهر، والتجربة الدقيقة، والتثبت من شهادة الغير، والتأكد مما يقع فى الذهن من فروض[2].

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص٨٦٩.
(٢) المرجع السابق ص٨٦٩.

فالذى يتعمق فيما أنجزه (كبلر) (١٥٧١ – ١٦٣٠) يجد أصوله فى حضارة الإسلام، فكان إنجاز كبلر يقوم كما يقول راسل: على اكتشاف قوانينه الثلاثة عن حركة الأجرام السماوية، (فالقانون الأول): ينص على أن حركة الأفلاك تدور لكن دورتها بشكل بيضاوى ، و(القانون الثانى): ينص على أن الكوكب يتحرك أسرع حين يكون أقرب إلى الشمس ويتحرك أبطأ حين يكون أبعد منها. (والقانون الثالث:) ينص على أن معدل المسافة بين أى كوكب والشمس مقسم بواسطة طول السنة لهذا الكوكب[1] .

فهذه المعلومات التى يكتشفها (كبلر) لأول مرة فى تاريخ العلم الأوربى كانت أفكارها الأساسية متداولة بين المسلمين، حيث كان القرآن الكريم يلفت أنظارهم إليها ويتحدث المفسرون كل بطريقته عنها.

فالقرآن الكريم يلفت النظر إلى أن مدارات الكواكب مكورة، يزيد أحدها بقدر ما ينقص من الآخر، وهذا يدل على أن الكرة ليست دائرة كاملة أو مستوية، بل هى مختلفة الأطراف أو بعبارة أخرى مدحورة، حين قال تعالى :﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٥] . وفى هذه الآية إشارة إلى شكل المدارات من الحركة والزمن والمسافة، وفى حديث القرآن عن منازل القمر، إشاره إلى مساره الدائرى، كما لفت القرآن النظر إلى مواقع النجوم. قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ ﴾ [الواقعة].

والقرآن الكريم بين أن الأرض مدحوة على شكل بيضة، قال تعالى:﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ ﴾ [النازعات]. وإن حركة الأفلاك تقتضى تغير الليل والنهار وغشيان كل منهما للآخر بسرعة، قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر:١٣] .

وقد دفع ذلك المسلمين إلى دراسة علم الفلك، كما دفعتهم الرغبة فى تحديد مواقيت الصلاة والصيام والحج، حتى لقد أنجبت الحضارة الإسلامية علماء فى الفلك والرياضيات مثل البتانى والبيرونى، كانت أفكارهم تحت نظر علماء الغرب من بدء النهضة الغربية.

---

(١) عبد المعطى محمد بيومى: مرجع سابق، ص ٨٧٠.

أما (جاليليو) (١٥٦٤ – ١٦٤٢)، فأهم نظرية لديه هى «سقوط الأجسام بسرعة ثابتة إلا بالقدر الذى تتدخل به مقاومة الهواء»، أى إذا سقط جسم سقوطًا حرًا فى فراغ ما من الهواء ، فإن سرعته تتزايد بمعدل ثابت، هذا مع اعتبار الشمس مركزًا وأن الأرض تدور حوله، مما جعل (نيوتن) (١٦٤٢ – ١٧٢٧) يمضى قدما فى اكتشاف قانون الجاذبية الأرضية الذى سبقه العالم المسلم (البيرونى) قبل نيتون، أى : أن الأفكار التى واجهت العلماء فى بداية نشأة الحضارة الغربية متشابهة (متفقة) إلى حد كبير مع أفكار علماء المسلمين فى بداية نشأة الحضارة الإسلامية، مما يجعل الحضارتين – الإسلامية والغربية – متشابهتين فى الجهاد العلمى – من أجل العلم والازدهار الإنسانى.

فكما منع (جاليليو) من الحديث عن دوران الأرض أمام محاكم التفتيش سنة (١٦٣٣م) ، كذلك منع البيرونى من قوله بحركة الأرض وأمر بالسكوت عن تكراره (إن الأرض متحركة حركة الرحى على محورها)، مما جعل البعض يرددها عنه فى مجلس السلطان مسعود وهو راعى البيرونى، فارتاع السلطان من قول البيرونى، فأمره بالسكوت.

خلاصة القول : إنه حتى الكفاح العلمى مشترك بين الحضارتين – الإسلامية والغربية – ومواجهة الجمود من أجل الاجتهاد والتقدم العلمى إرث متشابه (متوافق) على الجانبين.

فالإسلام والغرب يشجعان البحث العلمى، ويؤمنان بضرورة تطوير حياة الإنسان إلى الأفضل، إلا أن الإسلام يفرض ضوابط خلقية واجتماعية للبحث العلمى من شأنها أن تبقى على العلم خادمًا للإنسان كى لا ينقلب عليه فيدمره، إلى جانب الحفاظ على التوازن الطبيعى بين الإنسان والبيئة بكل عناصرها الطبيعية.

الملكية الفردية:

الإسلام والغرب يحترمان الملكية الفردية ويحميانها، ويسعيان إلى تحقيق أفضل استثمار للطاقات والموارد الطبيعية ويشترط الإسلام ألا يأتى ذلك على حساب فئة من البشر أو عنصر من عناصر الطبيعة؛ لذلك حرم الربا وأحل البيع، كما حرم الإسراف فى استنزاف الموارد الطبيعية.

احترام وتطبيق حقوق الإنسان:

يحرص الإسلام والغرب على ضرورة احترام وتطبيق حقوق الإنسان، ويؤكد الإسلام على ضرورة أن يشمل ذلك كل البشر بقدر متساو، وأن يراعى ذلك فى حالات السلم والحرب.

فالإسلام أعلن المساواة بين الناس فى الإنسانية، وفى الحقوق والواجبات، لا مفاضلة عند الإسلام بين لون ولون، غنى وفقير، جنس وجنس، وميزان المفاضلة عنده هو التقوى والعمل الصالح لخدمة الجماعة الإنسانية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وتقرر مبدأ المساواة فى العديد من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ ؛ لأنها شريعة سماوية تخاطب البشر أجمعين دونما تمييز بسبب اللون أو اللغة أو الأصل أو الحرفة أو الطبقة الاجتماعية، ولذلك أمرت بالعدل ونهت عن نقيضه وهو الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال]، ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة].

وقد قال الرسول ﷺ :« كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

المحافظة على سلامة البيئة:

يحرص الإسلام والغرب على المحافظة على سلامة البيئة، فالمحافظة على البيئة واجب شرعى على كل مسلم؛ لأنه مستخلف فى الأرض لإعمارها، وسوف يحاسب الإنسان على كل ما جناه فى حق البيئة، فالمحافظة عليها واستثمارها بما ينميها ويزيدها قوة هو واجب على الإنسان، وهو من واجب شكر النعمة، ويشهد بذلك كثير من الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول ﷺ ، قال تعالى:﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود] ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الشعراء] .﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد] ، وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: " إذا جاءت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليزرعها"(١) .

تحريم الظلم الاجتماعى:

يحرم الإسلام الظلم الاجتماعى، ويؤكد المساواة التامة بين البشر من حيث أصولهم، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومستوياتهم الاجتماعية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات] .

وبهذا أصبح بلال الأسود أخًا لأبى بكر الصديق القرشى النسب، كما أصبح صهيب الرومى وسلمان الفارسى أخوين لجميع المسلمين، ولم تعد هناك نعرة الأصل والحسب.

وقد جرى العلماء فى الإسلام على استعمال تعبير العدل للدلالة على المساواة، اشتقاقًا من المعنى اللغوى لكلمة العدل التى تعنى التسوية فى المعاملة، ويتحدثون عن العدل بمعانيه العديدة: سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، دينية... إلخ.

---

(١) رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٦٣ وقال: رجاله أثبات ثقات.

الردة:

يتهم بعض الباحثين الغربيين الإسلام بإنكار حرية العقيدة ، ويتهمونه بالتعصب الدينى، ويدللون على ذلك بعقوبة الردة المقررة فى الإسلام. والواقع أن الإسلام لا يعاقب المرتد إلا بعد إعطائه فرصة للتراجع وإعلان توبته فتقبل توبته، فإن لم يفعل عوقب.

فمعنى الردة هى: خروج المسلم عن دين الإسلام إلى دين آخر، وهذا أمر غير جائز حسب أحكام الشريعة الإسلامية، وتعد الردة جريمة يعاقب عليها مرتكبها بالإعدام، وينفذ فيه الحكم، بعد أن يمهل ثلاثة أيام ليستتاب فيها ، أى يطلب إليه العودة إلى الإسلام، فإن أصر على ردته أعدم [١] ، ويستند ذلك إلى قول النبى ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه » [٢] ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أيضا أنه أحل دم المرتد :« لا يحل دم امرئ مسلم إلا فى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل نفس بغير نفس » [٣] .

هذا ، وقد أجمع المسلمون فى صدر الإسلام على إعدام المرتد، وقاتل أبو بكر الصديق ﷺ المرتدين وأعلن الحرب عليهم، وقضى على بن أبى طالب ﷺ بإعدام المرتد.

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام ليس مجرد عقيدة، وإنما هو عقيدة وشريعة هو دين ودولة، ومن شأن الردة أن تؤثر على الدولة، وإن الردة تنطوى على الإساءة للإسلام. بل إنها فى بعض صورها قد ترادف جريمة الخيانة العظمى وهى جريمة عقابها الإعدام فى التشريع الحديث. وقد لجأ اليهود فى عهد النبى ﷺ إلى هذا الأسلوب بالدخول فى الدين الإسلامى جماعة ثم الخروج منه بقصد الإساءة إلى الإسلام . وفيهم نزلت الآية الكريمة: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ويبدو من آراء بعض الفقهاء المعاصرين أنهم يرون أن الردة التى حدثت فى أغلب الأحوال كانت تأخذ صورًا جماعية، مما لا تعتبر معه مجرد خروج من الإسلام، وإنما تعتبر خروجا على الإسلام (أى مقاومته) ويمثلون لذلك بحالة اليهود الذين ورد بشأنهم النص القرآنى السابق ذكره، وبأن حروب الردة كانت لمقاومة ردةٌ جماعية. أما فى العصر

---

(١) عمر شريف: نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية، دراسة مقارنة، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٦٥.

(٢) صحيح البخارى٣/ ١٠٩٨ ، دار بن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) أبو زكريا يحيى بن شرف النووى على صحيح مسلم ، ١١/ ١٦٤ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ،١٣٩٢.

الحديث فإن خروج فرد عن الإسلام لأسباب لا تعتبر خروجا على الإسلام، فإن عقابه بالإعدام محل نظر، ويكفى أن يعاقب تعزيرا بالحبس، يؤيدون هذا الرأى بأن عقوبة المرتد ليست من الحدود التى وردت فى القرآن، وإنما هى بالاتفاق عقوبة تعزيرية، ويمكن الترخص فى تحديدها بما يتناسب مع خطر الجريمة بمراعاة ظرف الزمان. كما يستندون إلى نقل نقلوه عن ابن القيم بشأن مسألة عقاب المرتد إذ يقول: « إنها مسألة لا علاقة لها بحرية العقيدة المقررة فى الإسلام وأنها مسألة سياسية قصد بها حياطة المسلمين وحياطة تنظيمات الدولة الإسلامية وأسرارها من نزوع أعدائها المتربصين بها للنيل منها بادعاء الإسلام »[1].

ويرى الباحث أن جريمة الردة إذا وقعت فى دولة إسلامية اتخذ النظام الإسلامى كقاعدة عامة أساسا لنظام الحكم فيها وتقيدت بمبادئه، فإنها فى هذه الحالة تكون بمثابة خروج على مبادئ النظام العام فى الدولة والاعتداء على أصول الحكم ومبادئه الجوهرية شأنها تماما شأن أى جريمة يرتكبها فرد فى أى دولة من الدول ضد نظام الحكم فيها؛ وخاصة إذا أخذنا فى الحسبان أن العقيدة والشريعة فى الدولة الإسلامية متلازمان مترابطان، وأن مبادئ الحكم فى الدولة الإسلامية تقوم على العقيدة والشريعة معا، أى أن الدين يشكل عنصرا رئيسيا فى نظام الدولة.

والإسلام فى هذا الصدد يتشابه مع اليهودية والمسيحية ، فكلها تحمى ذاتها بوسائلها، فاليهودية تعاقب على ازدراء العقيدة اليهودية والتجديف عليها بالرجم كما ورد فى التوراة، سفر اللاويين، إصحاح (٢٤: ١٣ – ١٦): « فكلم الرب موسى قائلا ١٣ أخرج الذى سب إلى خارج المحلة (أى البلدة) فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ويرجمه كل الجماعة ١٤ وكلم بنى إسرائيل قائلا كل من سب إلهه يحمل خطيته ١٥ ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل ١٦ يرجمه كل الجماعة رجما الغريب كالوطنى عندما يجدف على الاسم يقتل ١٧ »[2].

وذات العقوبة تطبق ضد من لا يحترم الواجبات الدينية، مثل العمل يوم السبت، إذ تقول التوراة، سفر العدد: (١٥ : ٣٢) :

« ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت ، فقدمه

---

(١) عمر شريف: مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والعهد الجديد): دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط، سفر اللاويين:الإصحاح الرابع والعشرون، فقرات (١٣ – ١٧).

الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة، فوضعوه فى المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به، فقال الرب لموسى : قتلا يقتل الرجل. يرجمهُ بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة (أى البلدة) ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى»[١] .

وتطبق التوارة عقوبة الرجم أيضا ضد من يعبد إلها غير إله بنى إسرائيل، فالرجم عقوبة لمن يعتنق غير الديانة اليهودية، وهذا الحكم ورد فى التوراة فى سفر التثنية الإصحاح (١٧ : ٢ – ٥) « إذا وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرا فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده،ويذهب ويعبد آلهة ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء، الشىء الذى لم أوص به، وأخبرت وسمعت وفحصت جيدا وإذا الأمر صحيح أكيد قد عمل ذلك الرجسُ فى إسرائيل، فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وأرجمه بالحجارة حتى يموت »[٢] .

وتشدد الأباطرة الرومان بعد اعتناقهم المسيحية فى معاقبة الملحدين، إذ جعلوا عقوبة الإعدام فى دستور الإمبراطور (تيودور) عام ٣٩٥م، وعاقب الإمبراطور (قسطنطين) كل مسيحى يرتد عن دينه بعقوبة الإحراق حيا ثم عدلت فيما بعد إلى مصادرة الأموال، وهذه العقوبات القاسية ترجع إلى تأثر هؤلاء الأباطرة بالتشدد الوارد فى الديانة اليهودية باعتبار أن المسيحية جاءت لتكملها كما ورد فى إنجيل متى الإصحاح(٥ : ١٧): « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ،ما جئت لأنقض بل لأكمل »[٣] . وظل العقاب على الردة قائما فى المسيحية حتى بعد سيادة العلمانية فى أوربا وتقرير مبدأ الفصل بين الدين والدولة بصفة رسمية بالقانون الفرنسى الصادر عام ١٩٠٥م،فقد نص القانون الكنسى للكنيسة الكاثوليكية الصادر عام ١٩٨٣م على عقوبة «الطرد من رحمة الرب excommunication »ضد المرتد عن العقيدة الكاثوليكية، ومن أهم آثار هذه لعقوبة عزله عن المجتمع الكاثوليكى وتحريم التعامل معه[٤] .

---

(١) المرجع نفسه: سفر العدد، الإصحاح الخامس عشر، فقرات (٢٢ – ٢٦).

(٢) المرجع نفسه: سفر التثنية، الإصحاح السابع عشر، فقرات (٢ – ٥).

(٣) المرجع نفسه: سفر إنجيل متى، الإصحاح الخامس، فقرة (١٧).

(٤) صوفى حسن أبو طالب: موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ص١٩١.

وعقوبة الردة شبيهة من كثير من الوجوه بعقوبة إسقاط الجنسية التى تطبقها الدولة الحديثة ضد مواطنيها الذين يرتكبون جرائم خطيرة تمس أمن الدولة ونظامها السياسى والاجتماعى مثل الخيانة العظمى، ومن ثم نستنتج مما سبق أن الدولة تعاقب على من يخونها، والديانة أيضا تعاقب على من يخونها ويرتد عنها بعد أن دخل فيها بكامل إرادته.

التسامح:

يدعو الإسلام مثل المسيحية إلى التسامح، ويرفض كل أساليب الإكراه فى الدين أو التعصب العرقى . . أو غير ذلك. قال تعالى:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة].

ولم يكن التسامح عند المسلمين مع مخالفيهم فى الاعتقاد نابعًا من اجتهادات فردية أو أمزجة نفسية، وإنما هى تعاليم من الله سبحانه وتعالى، ينال منفذها الثواب ويلحق مخالفها العقاب.

وقد مرت البشرية بخلافات بين الأمم كان سببها الدين، وأدى ذلك إلى اضطهاد المظلوم وحمله على ترك دينه، إن نجا من الموت والاستعباد (كما فعل الآشوريون باليهود، وكما فعل الرومان باليهود، وكما فعل الحبشة بالعرب عندما جاءوا لهدم الكعبة بمكة عام الفيل، وكما قصَّ الله تعالى من قصة أصحاب الأخدود – وهم من أهل اليمن المتهودين)[1].

وإذا كان هذا البطش والجبروت قد دار فى أزمنة قد مضت فإن مثيلاتها من الشواهد ما تزال ماثلة للعيان.

ولقد برئ أهل الإسلام من كل ذلك عندما كانت لهم القوة والهيبة، إلا ما كان من تحرش بالمسلمين من غيرهم، ولقد أراح المسلمون أمما مختلفة الأديان دخلوا تحت سلطانهم من نصارى العرب، ومجوس الفرس، وصابئة العراق، ويهود أريحا، فكانوا مع الجميع على أحسن مما يعامل به العشير عشيره، فتعلموا منهم وعلموهم وترجموا كتب علمهم، وجعلوا لهم الحرية فى إقامة رسومهم، واستبقوا لهم عوائدهم المتولدة من أديانهم .. ولم

(١) عبد العزيز محمد عثمان: موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، مرجع سابق، ص ٣٠٨..

يحفظ التاريخ أن أمة سوت بين رعاياها المخالفين لها فى دينها برعاياها الأصليين فى شأن قوانين العدالة (لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا) مع تخويلهم البقاء على رسومهم وعاداتهم مثل أمة المسلمين، فحقيقة هذا الذى نسميه التسامح بأن نسميه العظمة الإسلامية[1] .

وإن دينًا يعود نبيه الكريم ﷺ شابًا يهوديا وهو على فراش المرض، ويقف لجنازة يهودى[2] عند مرورها به ؛لأنه كما قال فى الرد على أصحابه: «أليست نفسًا»- لهو دين يقدر البشرية – التى هى من صنع الله القدير – لذاتها.

التواد والتراحم والتكافل والبر، بين كل أفراد المجتمع:

يدعو الإسلام – مثل المسيحية – إلى التواد، والتراحم، والتكافل، والتعايش، وفى الإسلام يوجد نظام دقيق لتوزيع الحقوق والواجبات داخل دوائر اجتماعية تبدأ بالأسرة، ثم الأقارب، ثم الجيران، ثم القرية، ثم المدينة، ثم البلدية (المحافظة)، ثم تتسع إلى أن تشمل كل أفراد المجتمع (القطر)، ثم تتسع أكثر لتشمل الأمة الإسلامية كلها – الدول الإسلامية – بمن يعيش فيها من غير المسلمين.

فالتراحم هو أن يتعامل الناس على أساس من العطف والتواضع والإحسان والبر، ويشعر كل إنسان فيهم بأنه عضو فى المجتمع الإسلامى ،يعمل من أجل إسعاده وتقدمه، فهو لا يعيش لنفسه وإنما يعيش لأمته، حتى يعيش المسلمون إخوة متحابين متعاونين فى السراء والضراء.

ويقوم على ذلك مؤسسات بعضها رسمى مثل وزارة الأوقاف، وبعضها خاص تمول عن طريق ما يأتيها من أموال الزكاة والصدقات بكل أنواعها، قال تعالى فى ذلك:﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

[التوبة: ٦٠]

الإسلام يتضمن الجانب التشريعى للحياة، وكذلك الجانب الروحانى(الإسلام يجمع بين المادة والروح) :

يتضمن التصور الإسلامى كلا من الجانب التشريعى للحياة، الذى اهتمت به

(١) عبد العزيز محمد عثمان: مرجع سابق، ص٣٠٨-٣٠٩..

(٢) أخرجه البخارى: (الجنائز)،حديث (١٣١١).

اليهودية، والجانب الروحانى الذى ركزت عليه المسيحية، ويتجلى ذلك فى إجازته للعقاب على الخطأ من جانب، وحثه على مقابلة الإساءة بالعفو عند المقدرة، بل ومقابلة السيئة بالحسنة، بمعنى أن نحسن لمن أساء إليك، وقد ورد هذا المعنى فى كثير من آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة[1]، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣] . وقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] . وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

التعددية فى الحكم وحرية التعبير عن الرأى[2]:

الإسلام – والغرب- يؤيد ويحمى التعددية فى الحكم، وحرية التعبير عن الرأى، الإسلام لا يعتبر المساس بالشعور الدينى أو الأخلاقى للآخرين جزءًا من حرية الفكر أو التعبير عن الرأى فحسب، بل هو تَعَدٍّ على حقوق الآخرين، يستحق فاعله العقاب العادل، وللإسلام تصور خاص عن التعددية، يتمثل فى مجلس شورى يضم ممثلين عن كل جماعات الأمة، يسمون أهل الحل والعقد. وقد اختلفت آراء الفقهاء فى مدى إلزامية رأى هذا المجلس، فمنهم من رأى أنه ملزم للحاكم، ومنهم من ذهب إلى أنه غير ملزم، والراجح أنه ملزم .

وقد استحدث الإسلام مؤسسة اجتماعية جديدة تعمل بالتعاون مع المؤسسات القانونية والأمنية المعروفة، على حفظ النظام فى الأماكن العامة والأسواق تسمى "هيئة الحسبة" ومن أهم أهدافها درء الأسباب التى تؤدى – إذا أهملت – إلى وقوع المخالفات القانونية فى الأماكن العامة مثل مخالفات الآداب، ومحاولات الغش بشتى أنواعه التجارية والإدارية، وما شابه ذلك من أمور قد تخفى على الجهات التقليدية المسئولة.

اشتراك الإسلام والغرب فى بعض المشكلات التى تهم الجميع:

العالم الإسلامى والغربى يشتركان فى مشكلات تهم الجميع، فكيف تتكيف مع التغير

---

(١) السيد محمد الشاهد: آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب، مرجع سابق، ص٧٤٩.

(٢) السيد محمد الشاهد: مرجع سابق، ص٧٤٧.

فى مجتمعاتنا – الإسلامى والغربى – وكيف نساعد الشباب الذين يشعرون بأنهم غرباء عن قيم مجتمعهم، وكيف نتعامل مع مشكلة مرض الإيدز والمخدرات وتفكك العائلة فمن الطبيعى أن هذه المشكلات تتفاوت فى طبيعتها وشدتها بين مجتمع وآخر، فعلينا أن نعمل معًا لحل هذه المشكلات التى تهدد مجتمعاتنا وحياتنا[1].

التعاون والتفاهم:

فلابد من تعاون المسلمين والمسحيين واليهود من خلال أرضية مشتركة بعيدًا عن التعصب فى جميع أنحاء العالم، وفى ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]. هذا التعاون بين المسلمين والمسيحيين فى جميع أنحاء العالم بعيدًا عن الإثم والعدوان.

فبين الإسلام والمسيحية مساحة واسعة للتفاهم والتعاون، فأصحاب الديانتين يؤمنون بالله الواحد، وإن الإيمان بالله الواحد فى نفوسنا بالفطرة وفهمنا جميعًا لمعنى اسم الله تعالى أنه فوق ذلك كله، فهو الخالق القادر على كل شىء، وهو سبحانه وكيل على كل شىء، كذلك تعترف الأديان السماوية باليوم الآخر والثواب والعقاب ويوجد بين الديانتين مساحة واسعة فى نشر الفضائل ونشر المبادئ السامية فكل إنسان سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا له أن يتمسك بدينه دون أن يتخذ دينه وسيلة لإهانة غيره، وإلا دخلنا فى دائرة التعصب الممقوتة. فالدين (أى دين) يدعو للمحبة وينبذ التعصب؛ لأن التعصب يخلق الإرهاب الذى ترفضه الأديان السماوية؛ لأن الإرهاب يستخدم العنف الذى لا يتفق مع ما تدعو إليه الأديان من المحبة والسلام مع أصحاب الديانات الأخرى[2].

هذه هى الحضارة الإسلامية الموثقة فى الكتاب والسنة التى تدعو إلى حوار الحضارات وليس إلى صراع الحضارات، وطالما أن الجميع – مسلمين ومسحيين – يعبدون إلهًا واحدًا، فلا يوجد صدام بين الإسلام والغرب، بل لابد أن يوجد بينهم التعاون والتفاهم.

إذًا هذه نقاط تلاق بين الإسلام والغرب، فيجب العمل بصدق على استثمارها إلى أقصى حد ممكن بهدف الوصول إلى فهم صحيح، واحترام متبادل وتعاون بناءً مخلص بين

---

(١) الأمير تشارلز: الإسلام والغرب "عظمة الدين الإسلامى ودوره فى عالم المستقبل، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، ص٨٢٩..

(٢) نيل لوقا بباوى: الموقف فى دعوى صراع الحضارات، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، صـ٤٧٢..

الطرفين الإسلام والغرب .

بعض المسائل الخلافية

١-المسألة الأولى : قضية المساواة .

٢-المسألة الثانية : قضية حرية العقيدة .

٣-المسألة الثالثة : التزام الكلّ بأحكام الشريعة فى الأحوال الشخصية.

ليس عبثًا ظهور الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام فى منطقة واحدة ، تعتقد كل منها انتماءها لإبراهيم عليه السلام ، ولا يمكن أن يكون معنى ذلك عدم التعايش بينهم، أو أن يحل العداء والكراهية محل التعددية التى هى من أسرار حكمة الله .

لقد أحصى المؤرخ الإنجليزى أرنولد توينبى الحضارات التى قادت خطا البشرية على مدى قرون طويلة فإذا هى ثلاثون حضارة ، زالت جميعها واندثرت إلا من تراثها العقلى والروحى ، كانت هذه الحضارات سلسلة كأنها تناسل غير مرئى، إذ كلما تقوضت حضارة نهضت على أنقاضها حضارة جديدة. فحضارة الإنسانية صاغتها الإنسانية جمعاء[١] .

فاليهودية لم تعلن عن ذاتها دينًا عالميا ولم تسع إلى الانتشار ،ولم يكن لها نظام تبشير ، وإنما أعلنت أنها ديانة جماعة أو شعب مختار تنتظر مخلصًا يقيم ملكا لإسرائيل ، دستورها " الوصايا العشر " أحاطت كل طقوسها وعباداتها بما يشبه السرية خوفًا من تأثير الأمم الوثنية ، وبرغم ذلك فقد تفرعت اليهودية إلى مذاهب عدة اختلفت فيما بينها فى الأمور العقائدية ، ودار بينها جدال عنيف، ومنها مذهب «الصديقين» الذى يرفض قيامة الموتى، الدنيونة الأخيرة[٢] ، ولا تعترف اليهودية بالأديان التى لحقتها المسيحية والإسلام بأنها سماوية أو موحى بها .

ومن هنا نفهم لماذا عاش اليهود فى أرض الشتات وبعضهم منطوين فى مناطق خاصة ، وأغلقوا على أنفسهم فى مجتمعات ضيقة ، وظلوا كأنهم شعب مختار مميز ، إنها ديانة قومية[٣] .

---

(١) الأنبا يوحنا قلته : موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية المساواة فى الحقوق والواجبات ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ . .

(٢) الأنبا يوحنا قلته : مرجع سابق ، ص ٣٩٥ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٣٩٥ .

المخلص المنتظر هى الفكرة الأساسية الثانية فى اليهودية ، وفى كل أسفار العهد القديم (الكتاب المقدس عند اليهود) ، والفكرة الأولى هى « وحدانية الله » والمخلص نبى يهودى، له صفات وملامح ويقوم بأعمال ذكرتها أسفار أنبياء العهد القديم ، وهو مؤسس مملكة إسرائيل، وقد رفضت اليهودية المسيح ؛ لأنها لم تجد فيه ما يحقق أملها فى السيادة والملك ، ولم تجد فيه صفات الزعامة السياسية والعسكرية بل رأته « فقيرًا وديعًا ، متواضع القلب» كما قال عن نفسه[١].

وجاءت المسيحية تؤكد على نقاط هامة :

١ – أن المسيح هو (المسيا) المخلص الذى تكلم عن الأنبياء من موسى إلى يوحنا المعمدان (النبى يحيى) تحقق فيه كل رجاء العهد القديم[٢] .

٢ – الأخوة الإنسانية ، فى العهد القديم – فى اليهودية – الأخوة هى دينية وقومية ، وفى تعاليم المسيحية الأخوة الإنسانية مطلقة ، شاملة[٣] .

وليس فى المسيحية نظام سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى خاص بها ،فالمسيحية تهدف إلى بناء الإنسان فى مجتمعه الإنسانى[٤] ، ويرى فقهاء المسيحية أن فقدانها للنظام التفصيلى والشريعة الثابتة لا يمثل نقطة ضعف بل يعتبر نقطة قوة ؛ لأن ذلك يعنى احترام الإرادة الإنسانية فى تنظيم أوضاعها وتلبية حاجاتها وحل مشاكلها من دون ضغط قانونى يحصرها فى نطاق النصوص الثابتة لعالم متغير ، لذلك فإن النظام المسيحى العام هو الخط الإنسانى العام المتحرك فى قضايا الإنسان فى اجتهاداته القانونية المنطلقة من حركة الحياة فى واقع الإنسان القائمة على احترام الناس فى تنوعاتهم وأوضاعهم المختلفة[٥] .

هذه بعض ملامح المسيحية، لكن لا بد من القول أن المسيحية التى واجهها الإسلام فى فجر بزوغه وعلى الأرض العربية ، كانت مسيحية مختلفة تماما مزقها صراع المذاهب واختلطت بها بدع كثيرة ، وبخاصة عقيدة الثالوث التى يرفضها القرآن الكريم وترفضها أيضًا العقيدة الصحيحة فى الإنجيل والتى تؤمن بها الكنيسة ، ومع هذه البدع الكبرى

---

(١) موقف الإسلام من غير المسلمين ، مرجع سابق : ص ٣٩٥ .
(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم ، إشعياء (٦١ : ١ – ٢).
(٣) العظة على الجبل : إنجيل متى (٥: ١ – ٤٣) .
(٤) الأنبا يوحنا قلته : مرجع سابق ، ص ٣٩٦ .
(٥) المرجع السابق : ص ٣٩٦ .

كانت جماعات نصرانية قليلة العدد منها جماعة كانت تقدم القرابين لمريم ، فسمى ابن البطريق أتباعها « بالمريمية » ووصفهم ابن تيمية فى كتابه « الجواب الصحيح» ودعاهم (المريميين – أو المريمانية). وهكذا كانت المسيحية فى الحجاز، فى مكة والمدينة ، شيعًا متطرفة ومنحرفة هربت من اضطهاد الروم لمخالفتهم مذهبها ولجأوا إلى ديار العرب ، ولذا قال عنهم المؤرخ : « أبيفانيوس » « العربية معقل البدع » ومنها الفنوسية بصورها المتعددة التى أنكرت أن للمسيح جسدًا حقيقيا [1] .

ليس الهدف هنا دراسة الأديان أو المقارنة بينها ، وإنما بسطت الأمر لأستخلص عبرة وهى أن الإسلام كان لا بد أن يأتى فى هذا المناخ الدينى الممزق المتطاحن ، والبدع التى شوهت المسيحية والتى رفضتها المجامع المسكونية (٣٢٥)(٤٥١) ، ويمكن القول أن المسيحية التى واجهها الإسلام فى شبه الجزيرة العربية مختلفة تمامًا عن المسيحية خارج شبه الجزيرة العربية ، بل إن النصارى فيها يمكن القول عنهم أنهم ليسوا إلا مذهبًا خليطًا من المسيحية واليهودية ، ويبدو فى هذه الأيام وكأنه يريد أن يستيقظ تحت أسماء جديدة وفى ثوب جديد [2] .

والقرآن الكريم لم يذكر كلمة مسيحيين وإنما كلمة " النصارى " الذين هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

وجاء الإسلام دينا يحمل رسالته محمد بن عبد الله ﷺ فى كتاب هو القرآن الكريم يعلن أنه وحى من الله ، ليقيم أمة وسطًا ، أراد الإسلام أن يكون وسطًا بين مادية كاسحة، وروحانية هشة غامضة ووثنية متفشية ، وعبادات خرافية ازدحمت شبه الجزيرة العربية بذلك كله ، فهو دعوة للوسطية ، يجمع بين مطالب الدين والدنيا .

فالإسلام يعلن وحدة الأديان السماوية ، قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

هذا أمر للأمة، وهو الأمر ذاته للنبى ﷺ :﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ

(١،٢) الأنبا يوحنا قلته ص ٣٩٧ .

مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران].

الإسلام لا يفرق بين كتب الله ورسله ، قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

فالإيمان بالكتب المقدسة إيمان واحد، فالقرآن الكريم يقول : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة] ، والإنجيل فيه هدى ونور ، قال تعالى : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران]. وكذلك التوراة فيها هدى ونور ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة].

وأهل الكتاب من اليهود أو من المسيحيين هم المسلمون الحقيقيون قبل نزول القرآن الكريم، قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القصص] .

والإسلام يشمل جميع الأديان ، كما يشمل جميع الكتب المقدسة ، ولكن لا يمنع تحفظ القرآن الكريم أمام قضية التحريف فى الكتب التى سبقته ، أشار ذلك فى عدة آيات قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة] . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة :٤١] . إلى أخر الآيه .﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُۥ

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام].

تحريف اختلف حوله المفسرون، هل هو تحريف فى المعنى، أم تحريف فى الآيات وتلك قضية أخرى، عالجها مفسرون مسلمون ومسيحيون.

فالإسلام جاء ليوحد بين جميع المؤمنين بالله، ويصلح ما أصاب الأديان التى سبقته ويوضح الحقيقة بلسان عربى مبين، فالتنزيل فى الإسلام واحد فى التوارة والإنجيل والقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران].

المسألة الأولى: قضية المساواة:

المساواة فى الديانة اليهودية:

لا تعترف الديانة اليهودية بالديانات السماوية التى جاءت بعدها، ونتيجة لذلك ساد المجتمع اليهودى التعصب الدينى، وضُيِّق الخناق على غير اليهود سواء فى شئون العقيدة أم فى غيرها، وهو مجتمع عنصرى مغلق، إذ يقتصر صفة اليهودى ليس فقط على معتنق الديانة اليهودية بل، يشترط فوق ذلك أن يكون من نسل بنى إسرائيل ومعتنقًا للديانة اليهودية وغيرهم يكون أجنبيا [1].

وترتب على ذلك سيادة مبدأ عدم المساواة بين اليهود وغيرهم فى المجتمع اليهودى والدولة اليهودية فى الماضى والحاضر، ويظهر ذلك فى عدة وجوه أهمها:

- لا يكتسب الجنسية الأجنبى الذى اعتنق اليهودية هو وذريته حتى الجيل العاشر، ويستثنى من ذلك الأيدوميون والمصريون فتكتسبها الذرية من الجيل الثالث، ولا تكره مصريا لأنك كنت نزيلًا فى أرضه، والأولاد الذين يولدون لهم يكتسبون الذرية اليهودية من الجيل الثالث [2]، ونتيجة لذلك لا يسمح لهم بالاشتراك فى سائر التنظيمات السياسية مثل مجلس الشيوخ وجمعية الشعب.

---

(١) صوفى حسن أبو طالب: موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق، ص ١٩٨.

(٢) الكتاب المقدس: أسفار العهد القديم، تثنية، الإصحاح الثالث والعشرون، (١ - ٨)، ص ٢١٥.

- يباح الإقراض بالربا لغير اليهودى مع تحريمه على اليهود فيما بينهم[١].

- حظر على اليهودى الزواج من أجنبيات[٢].

- يحرم على الأجانب تملك العقارات، بل إن التوراة تحث على سلب ونهب أموال الأجانب، ومنها ما نصت عليه التوراة أثناء خروج اليهود من مصر[٣].

- تحفل التوراة بالنصوص التى تأمر بقتل غير اليهود وهدم المدن ، وإحراقها، وإبادة غير اليهودى من وسط المحلة حتى يفنوا : « وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة بل تحرقها تحريقًا»[٤].

وفى الوقت الحالى تتأرجح السياسة الإسرائيلية داخل إسرائيل ما بين التعصب الصهيونى الدينى المطلق وبين قدر من التسامح مع العرب مسلمين ومسيحيين ممن يحملون جنسيتها، فبعض الأحزاب السياسية تقوم على أصول دينية مستمدة من الكتب المقدسة وبعضها الآخر يسوده الاتجاه العلمانى مع الالتزام بالمبادئ الأساسية الواردة فى الكتب المقدسة، وما نشاهده اليوم من غلو يصل إلى درجة التطرف فى الاستيلاء على أرض الفلسطينيين وإقامة مستوطنات يهودية محلها ، وعدم السماح للفلسطينيين بالمشاركة فى النشاط السياسى إلا فى أضيق الحدود وتضييق الخناق عليهم فى تنقلاتهم وحرياتهم تحت ستار دواعى الأمن وعدم احترام القرارات الشرعية الصادرة من المنظمات الدولية، والتطاول على الأديان الأخرى وخاصة الإسلام وأحدثها الملصقات التى تحط من قدر الرسول ﷺ وتمزيق المصاحف[٥] . كل ذلك وليد التعصب الدينى ضد الغرباء عن اليهودية فى وقت يتنادى العالم كله بحقوق الإنسان .

المساواة فى المسيحية :

إن السيد المسيح ـ عليه السلام ـ بشر بالمحبة والإخاء والمساواة بين الناس جميعًا دونما تمييز بسبب الدين. غير أن التفسير المغلوط لبعض آيات الإنجيل انتهى إلى نشر التعصب الدينى واضطهاد غير الكاثوليك على خلاف ما تأمر به المسيحية من محبة وإخاء وتسامح

---

(١) الكتاب المقدس: أسفار العهد القديم، تثنية ، الإصحاح ٢٣ –(٢٥)، ص ١٢٣ – ١٢٨.
(٢) المرجع السابق الإصحاح السابع (٤) ، ص ٢٩٠ .
(٣) المرجع السابق الخروج ، الإصحاح (٣: ٢٢)، ص ١٢ - ٨٩.
(٤) المرجع السابق تثنية ، الإصحاح الثانى ، (١٦ –١٧)، ص ٢٨٠.
(٥) صوفى حسن أبو طالب : موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين ، مرجع سابق، ص ١٩٩.

بين الأديان ، وهى المبادئ التى بشر بها المسيحيون الأوائل . فقد ورد فى إنجيل متى : إصحاح (٤٤:٤٥) : « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم »[١] .

فما إن حل القرن الخامس الميلادى حتى بدأ القديس أوجسطين فى وضع أساس نظام الاضطهاد الدينى متأثرًا فى ذلك بنصوص العهد القديم (التوراة) واعتمادًا على تفسير الآية (٣٤) من الإصحاح العاشر من إنجيل متى وهى تقول على لسان السيد المسيح ـ عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلامًا على الأرض. ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا»[٢] . وعلى هذا الأساس ظهرت نظرية « الخلاص » ومضمونها : أن خلاص روح الإنسان لا يكون إلا بالإذعان التام لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية . وقد نتج عن تطبيق هذه النظرية – بعد فشل مؤتمر خلقدونية عام ٤٥١ للميلاد فى التوفيق بين المذاهب المسيحية – اتهام الكنيسة الكاثوليكية لأتباع المذاهب المسيحية الأخرى بالهرطقة والإلحاد والسماح بتعذيبهم والتنكيل بهم وتصفيتهم جسديا ، وكان للمصريين المسيحيين وغيرهم من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية نصيب موفور من هذه التصفية الجسدية .

وفى هذا المناخ ظهرت نظرية جديدة للحرب وضع أساسها القديس أوجسطين وربطها بمحاربة الوثنيين- ومنهم المسلمون – وتحولت هذه النظرية إلى نظرية «الحرب المقدسة » بعدما أعلن البابا « جون الثامن » فى القرن التاسع الميلادى أن ضحايا الحرب ضد المسلمين شهداء تغفر لهم ذنوبهم ،ثم دعا البابا « أربان الثانى » فى خاتمة انعقاد مجمع دينى عام ١٠٩٥ إلى شن حرب تحت راية الصليب ضد المسلمين فى فلسطين فبدأت الحملة الصليبية الأولى باحتلال القدس عام (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م). ثم بعض مدن الشام، وقد عانى المسلمون من المذابح والأعمال الوحشية ما يفوق الوصف، وأقاموا إمارات لهم بالشام بعد تصفية المسلمين جسديًا أو إجلائهم عن ديارهم وإحلال غيرهم محلهم، ومنعوا إقامة الشعائر الدينية وألفوا مؤسساتهم الدينية والقضائية وأخضعوهم للقواعد القانونية التى وضعتها السلطات الصليبية. ولم يؤذن لصلاة الجمعة فى بيت المقدس إلا بعد هزيمة الصليبيين على يد صلاح الدين ، أى : بعد قرابة مائة عام من الاحتلال، وذات المشهد تكرر حدوثه فى الأندلس – بتأييد ومباركة من الكنيسة الكاثوليكية – قرابة خمسة

---

(١) الكتاب المقدس: أسفار العهد الجديد إنجيل متى،(الإصحاح الخامس، ٤٤)، ص ٩ - ١٠.
(٢) المرجع السابق(الإصحاح العاشر : ٣٤) ص ١٨.

قرون ، بدءًا من غزو أحد المعاقل الإسلامية بها عام ١٠٦١ حتى سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م ، وكانت محاكم التفتيش هى السلاح الرهيب فى مواجهة المسلمين ، واستحدثت مبدأ جديدًا فى علم العقاب ، فاعتبرت المتهم مذنبًا حتى تثبت براءته ، وكان المسلمون بالخيار بين التحول إلى النصرانية أو التعرض للهلاك أو الفرار بدينهم للخارج أو نفيهم . ولم تعترف إسبانيا بالإسلام كإحدى الديانات التاريخية ، ومساواة المسلمين بغيرهم من أبناء أسبانيا إلا عام ١٩٨٩م .

وذات المشهد تكرر حدوثه فى العصر الحديث من جانب الصرب المسيحية ضد أبناء البوسنة المسلمين من مذابح وقتل جماعى للأسرى ومعاملة وحشية للمدنيين ومقابر جماعية تحت سمع وبصر هيئة الأمم المتحدة والدول التى تتزعم حملة حماية حقوق الإنسان ومنها حرية العقيدة ، وإذا ما هب المسلمون لمناصرة المعتدى عليهم من أبناء البوسنة اتهموا بالإرهاب[1] .

المساواة فى الإسلام :

الإسلام دين ودولة ، فهو يجمع بين الدين والحياة ، وهو فى ذلك يختلف عن المسيحية التى فصلت بين الدين والدولة ، وناطت رعاية شؤون الدين بالكنيسة وجعلت شؤون الدنيوية من اختصاص الدولة، ونتيجة لذلك قامت الرابطة بين الفرد والمجتمع وبينه وبين الدولة على أساس رابطة الإسلام ، وأن غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى يتمتعون بذات الحقوق التى يتمتع بها المسلمون ،ويتحملون ذات الواجبات التى يتحملها المسلمون؛ لأن الإسلام يسلم بالأخوة الإنسانية ،ويعترف بما سبقه من ديانات سماوية؛ لأنها كلها خرجت من مشكاة واحدة .

ومن أهم خصائص المجتمع الإسلامى أنه يقوم على مبدأ المساواة بين الناس دونما تمييز بسبب اللون أو الدين أو اللغة أو الأصل ، والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات :١٣].

وأمر القرآن الكريم بالعدل بين الناس فى العديد من الآيات، ومنها قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾

(١) حسن صوفى أبو طالب : مرجع سابق ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

[النساء :٥٨]، وأمر بالعدل بالنسبة للأعداء بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ [المائدة].

وتعددت الأحاديث النبوية الشريفة فى هذا الشأن ، نذكر منها: قوله ﷺ : « إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »[1].

وهذا المعنى أكده الخليفة أبو بكر الصديق فى أول خطبة له بعد مبايعته بالخلافة:« ألا وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه ، وأقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له » ، وكانت المساواة بين الناس على رأس التعليمات التى وجهها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فى كتابه « يعرف باسم كتاب القضاء » لأبى موسى الأشعرى إذ جاء فيه : أس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك "[2].

ومن جماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة صاغ الفقهاء مبدأ عامًا فى المساواة بين المسلمين وغير المسلمين يقول: « لهم ما لنا وعليهم ما علينا ». وتطبيقًا لهذا المبدأ، فإن لأهل الكتاب من غير المسلمين حق حمل جنسية الدولة الإسلامية التى يعيشون فيها . ولهم مثل المسلمين من ممارسة سائر الحقوق الخاصة ، حق التملك، وحق العمل، وحرمة السكن، وحرية التنقل، والحق فى التعليم، والحق فى الضمان الاجتماعى، والحق فى الرعاية الصحية، وحق حرية التعبير عن الرأى .

والإسلام ينهى عن التعصب الدينى ويأمر بالتسامح مع غير المسلمين من أهل الكتاب، ولا يجيز التطاول عليهم ، وفى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت :٤٦].

كما يأمر الإسلام بالبر بأهل الكتاب ، وفى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ [الممتحنة :٨] .

---

(١) صحيح البخارى: جـ٦ ، ص٢٤٩١ ، مرجع سابق.

(٢) أحمد بن الحسين بن على بن موسى أبو بكر البيهقى: سنن البيهقى الكبرى جـ١٠ ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ-١٩٤٤م، ص ١٥٠.

والقرآن الكريم أشار إلى « المواطنة » منذ البداية كقيمة أساسية فى المجتمع ، بل وأمر بإقامة علاقات إنسانية مع كل الشعوب والأمم قال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[البقرة : ٢٥٦].

وقوله ﷺ : « من أذى ذميا فقد أذانى ، ومن أذانى فقد أذى الله »[١] .

وقوله ﷺ : « الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[٢] .

المسألة الثانية: قضية حرية العقيدة :

كان الإسلام، منذ ظهوره ، سباقًا إلى تقرير حرية العقيدة، فقد أوجب القرآن الكريم حرية العقيدة بصورة قاطعة لا تحتمل لبسًا ولا تأويلًا. من ذلك قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة :٢٥٦].. وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٩]. وأوضح سبحانه وتعالى أن اختلاف الأديان هو سنة الله فى خلقه إذ يقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] . ويخاطب الرسول ﷺ بقوله تعالى :﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية].

وهذه الآيات القرآنية قاطعة فى تحريم الاضطهاد الدينى، وقاطعة فى تحريم كافة أنواع الصراع بسبب اختلاف الدين ، وتحريم التطاول على الأديان أو ازدرائها .

فالديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام – خرجت من مشكاة واحدة ، ومن ثم اتفقت فى الأصول، وإن تباينت فى التفصيلات والجزئيات ، فهى كلها تقوم على التوحيد وتحض على الأخلاق الفاضلة ،وتنهى عن ارتكاب الكبائر، فالوصايا العشرة التى وردت فى التوراة تقول: « أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ،لا تنطق باسم الرب إلهك باطلًا ،أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب ، لا تقتل . ولا تزن . ولا تسرق،ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشته امرأة قريبك ، ولا تشته بيت

(١) جامع الأحاديث للسيوطى ،ج٢، ص ٥٤٧ .
(٢) البخارى : ج ٦، ص ٣٥٤ .

قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا كُل ما لقريبك »[١] . والإنجيل بعد ما أورد هذه الأحكام زادها إيضاحًا وتفصيلًا[٢] .

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أقرت كل هذه الأحكام وزادت عليها ،وتتماثل الديانات الثلاثة فى أسس العبادة ، فهى كلها تأمر بالصوم والصلاة والزكاة ،وإن اختلفت فى مواعيد أدائها ومقدارها وكيفية هذا الأداء، كما أنها تقترب من بعضها فى شئون العقيدة كالإيمان بالله الواحد وملائكته وكتبه ورسله ويوم البعث ... إلخ، ولكنها تختلف فى أن الديانات اللاحقة تعترف بما سبقها من ديانات ولكن الديانات السابقة لا تعترف بما جاء بعدها، فالإسلام خاتم الرسلات السماوية يعترف بكل من المسيحية واليهودية، بينما المسيحية تعترف باليهودية السابقة عليها [٣]، وبالرغم مما جاء فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى : « ولا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل »[٤].

لكن المسيحية لا تعترف بالإسلام الذى جاء بعدها ، واليهودية لا تعترف بالمسيحية ولا الإسلام لأنهما جاءا بعدها .

ومن ناحية أخرى يختلف مضمون الدين ونوع وجنس المخاطبين به فى الديانات الثلاث. فاليهودية خاصة ببنى إسرائيل ، ولذلك تميز فى الخطاب وما يتضمنه من حقوق وواجبات بين اليهودى وغير اليهودى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة شرعة ومنهاجًا فى تطبيقات الأصول العامة[٥] ، والقرآن الكريم أوضح هذا المعنى بقوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

[المائدة]

---

(١) الكتاب المقدس ، أسفار العهد القديم : التثنية الإصلاح الخامس (١ -٢٢)ص ٢٨٧ -٢٨٨ .

(٢) الكتاب المقدس : أسفار العهد الجديد ، إنجيل متى ، [الإصحاح ٥: ١٧ -٤٨] ، ص ٨ - ١٠].

(٣)حسن صوفى أبو طالب : مرجع سابق، ص ١٧٠ .

(٤)الكتاب المقدس : العهد الجديد ، إنجيل متى ، [الإصحاح ٥: ١٧] ، ص ٨ .

(٥) حسن صوفى أبو طالب : مرجع سابق ، ص ١٧٠.

ومن أمثلة ذلك أنها تحرم الزواج بين اليهودى وغير اليهودى، وتبيح الاقتراض بفائدة لغير اليهودى وتحرمه بين اليهود . كما أن تميز اليهودى على غيره أدى إلى سيادة العصبية الدينية . والشريعة اليهودية تنظم شئون الدين والدنيا معًا .

والمسيحية تقوم على مبدأ الفصل بين الدين والدولة إعمالًا لقول السيد المسيح « ردوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ». ومن ثم اقتصرت على الهداية الروحية والأخلاقية وتنظيم شئون العبادة ، ولذلك انحصر أثرها على هذه الجوانب تاركة تنظيم الأمور الدنيوية للدولة. ولكن المسيحية مثلها فى ذلك مثل الإسلام وعلى خلاف اليهودية ، تخاطب البشر أجمعين دونما تمييز بين شعب وآخر ، ونتيجة لذلك اختلفت النظم الدنيوية سياسية واقتصادية ، فى المجتمعات التى تدين بالمسيحية ،وإن كانت كلها تتلاقى فيما يخص شئون العبادة والجوانب الروحية والأخلاقية .

ونتيجة لاعتراف الإسلام بكل من اليهودية والمسيحية ،فإنه أقر حرية العقيدة، لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

واعتراف الإسلام بالديانات السماوية السابقة عليه باعتباره خاتم الرسالات رددته آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣﴾ [فصلت]. وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى :١٣] .

ومن أهم الضمانات التى قررها الإسلام لحرية العقيدة أنه أوكل الحساب عنها إلى الخالق سبحانه وتعالى ، فلا يجوز لكائن من كان أن يحاسب إنسانًا على كفره، وترك ذلك للخالق وحده يحاسب عنه فى الآخرة . وفى ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝١٠٧ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾ [الأنعام] .

فالديانة اليهودية حرمت ما عداها من ديانات، وجعلت الرجم عقوبة لمن يعتنق غير الديانة اليهودية . وهذا الحكم ورد فى التوراة فى سفر التثنية الإصحاح (١٧: ٢ – ٥] : «إذا

وجد فى وسطك فى أحد أبوابك التى يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرًا فى عينى الرب إلهك بتجاوز عهده،ويذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر ، أو لكل من جُند السماء الشىء الذى لم أوح به ، وأخبرت وسمعت وفحصت جيدًا ،وإذا الأمر صحيح أكيد ، قد عُمل ذلك الرجس فى إسرائيل، فاخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجُل أو المرأة وارجمهُ بالحجارة حتى يموت"[1].

وليس معنى اعتناق المرء للدين الذى يوقن بحقيقته أن يعطى نفسه الحق فى أن يصادر فى الناس ما يرى أنه الباطل، ولا أن يكره الناس ما يرى أنه الحق، وليس له أن يضطهدهم أو يعصف بأمنهم أو يستحل أموالهم ودماءهم وأعراضهم لا لشىء إلا لمخالفتهم إياه فيما يعتقد، كما أنه ليس بيد بشر أن يكره بشرا على أن ينشرح صدره للإسلام، أو يكون بهذا الإكراه على نور من ربه. إن الذى بيده ذلك هو الله وحده. ولهذا حسم القرآن هذه القضية وفى أكثر من آية[2] . قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الزمر] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس]. ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النحل]. ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[يونس] ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص]،﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة :١٣] ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[البقرة : ٢٥٦] .

ثم حدد مهمة الرسول ﷺ والداعية فى قوله تعالى :﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية]. وقوله تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [الشورى] . وقوله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل] . أى : لتبين ، لا لتلجئ الناس حتى يكونوا مؤمنين .

---

(١) الكتاب المقدس: أسفار العهد القديم ، التثنية ، [الإصحاح ١٧: ٢ – ٥) ص ٣٦٠ .

(٢) د. محمد الأحمدى أبو النور: الإسلام وحرية العقيدة ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧.

ومن الشواهد التاريخية فى الإقرار بحرية اختيار العقيدة ما يلى :

فى صدر الإسلام صودر المسلمون فى حرياتهم ، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم ، فلما مكن الله للمسلمين دينهم ، ومكنهم من رقاب أعدائهم ، ما عرف عنهم أنهم اعتسفوا معهم ، أوأكرهوهم على الإسلام، حتى مع الأسرى ، ومن ذلك ما يلى :

فى سرية عبد الله بن جحش ـ قبيل غزوة بدر ـ أسر الحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ابن المغيرة ، وقادتهما قريش، ودون تعنت مع قريش، ودون تعسف معهما عرض عليهما أن يختارا بين أن يسلما ويبقيا مع المسلمين أو يلحقا بمكة، فاختار الحكم الإسلام ، وآثر البقاء مع الرسول ﷺ وظل يزداد إيمانا مع إيمانه ، ويسارع فى الخيرات مع أقرانه ، حتى استشهد ببئر معونة فى معركتها ، وأثر عثمان بن عبد الله أن يلحق بالمشركين فى مكة ، فلم يؤذه المسلمون ، ولا صادروا حرية اختياره ، وإنما تركوه ، وما اختاره فلحق بمكة ومات بها كافرًا[1].

وعندما أنفذ أبو بكر جيش أسامة بن زيد وصى أسامة وجيشه فقال : « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تغلوا ،ولا تقتلوا ،طفلًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلًا وتحرقوه، ولا تعقروا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بعيرا إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له...»[2].

وهذه الوصية الجامعة إنما تعبر فى شطرها الدينى عما يقتضيه إقرار الإسلام لحق الإنسان فى اختياره عقيدته من تحريم النيل من المخالفين فى العقيدة، وتحريم اعتسافهم لاعتناقهم هذه العقيدة التى يعتنقون ، وتحريم التصدى لهم فى أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم .

ولنا أن نستجلى روعة هذه التوجيهات ، وتسامى تلك التطبيقات حين نتذكر قساوة القلوب ، وضراوة أساليب القمع والتنكيل التى اضطهدت بها أوربا المخالفين فى العقيدة حتى بين أبناء الدين الواحد، وذلك لنوازع الحقد والتشفى والاستبداد من الأباطرة حينًا ومن القساوسة والبابوات حينًا آخر ،ومن ذلك ما حدث للأبيين بجنوب فرنسا فى أوائل

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٣/ ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٢) أبو جعفر بن جرير الطبرى: تاريخ الأمم والملوك(تاريخ الطبرى) ٥/ ٢٤٦ ، ط. المكتبة التجارية – القاهرة ١٩٤٨، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢/ ٢٢٧، مطبعة بولاق القاهرة ١٢٤٧هـ .

القرن الثالث عشر الميلادى[١] .

إذْ إن مبدأ حرية العقيدة كان من رحمة الله لعباده، حيث جعل للإنسان أن يحدد مصيره عن بينة دون قهر أو إجبار على قبول ما ندعو إليه كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس].

المسألة الثالثة : التزام كلّ بأحكام شريعته فى الأحوال الشخصية :

إن رسالات السماء حددت للإنسان ما هو طيب وما هو خبيث، وما هو خير وما هو شر، وبينت الحق والباطل، وما يحل للإنسان وما يحرم عليه، وإن الشرائع السابقة لم تترك أمرًا إلا وقد بينته للإنسان وأظهرت معالم الطريق فى كل ما يحتاج إليه ،وقررت له المنهاج الذى عليه التزامه .

والإسلام ساوى بين الأجناس والألوان ، وأعطى للمرأة حقها فى الحياة ،وأن لهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وقرر الإسلام للإنسان حقه فى الإخاء والمساواة ، حيث لا يختلف فيها فقير عن غنى ولا شريف عن وضيع ، الكل لآدم وآدم من تراب ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات].

وقد اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة ووفر لها كل ما يجعلها سعيدة طيبة فى الدنيا والآخرة ،فكل الأديان السماوية تشترك فى مظاهر كثيرة بالنسبة لحقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها ، وحقوق الأولاد على الآباء لتكوين الأسرة السعيدة الناجحة فى الدارين ، فقد اهتم الإسلام بهذا المجال اهتمامًا بالغًا ، وأن الإسلام دين الأسرة ويقرر تبعة الزوج فى أسرته وواجبه فى بيته، والبيت المسلم هو نواة الجماعة الإسلامية، والزوجة الصالحة تساعد الأب على تربية طفله تربية صحيحة ينتج منها ولد صالح يقود الأمة إلى الخير والسعادة ، وهذا يتطلب من المؤمن أن يبحث أولًا عن الزوجة المسلمة الصالحة ، ويرشدنا الرسول ﷺ إلى هذا المعنى حيث يقول : « اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة »[٢] .

---

(١) محمد الأحدى أبو النور: الإسلام وحرية العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٢٣١.

(٢) على بن عمر أبوالحسن الدارقطنى البغدادى: سنن الدارقطنى ، ج٣ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ ، ص٢٩٨.

ومثل الزوجات الصالحات ما ورد فى هذا الحديث: فقد روى مسلم أن أسماء بنت يزيد بن السكن – رضى الله عنها – أتت النبى ﷺ فقالت: إنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمات ، كلهن يقلن بقولى وعلى مثل رأيى، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات محدرات قواعد بيوت ، وأن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالًا عن دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله – فقال رسول الله ﷺ : « انصرفى يا أسماء ، واعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت » وأما حقوق الزوجة على زورجها فكثيرة ، منها : الإنفاق عليها ، قال تعالى :﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق]. وقال أيضًا :﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة] . فلا إسراف ولا تبذير ولا تقنيط ولا شح، وإنما الاعتدال فى الإنفاق والبذل ، وأن الإنفاق على أهلك يتقدم كل الصدقات عن أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها الذى أنفقته على أهلك » ، وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ قال : « إنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة فإنك تؤجر حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك ».

ولا بد أن نذكر هنا ثواب إنفاق الزوجة على زوجها وأولادها: فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ انصرف يوما من الصبح فأتى النساء فى المسجد فوقف عليهن فقال :« يا معشر النساء ،ما رأيت من نواقص عقول قط ودين أذهب بقلوب ذوى الألباب منكن ، وإنى رأيت أنكن أكثر أهل النار يوم القيامة فتقربن إلى الله بما استطعن » وكان فى النساء، امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ فانقلبت إلى عبد الله بن مسعود فأخبرته بما سمعت من رسول الله ﷺ وأخذت حليها فقال ابن مسعود : أين تذهبين بهذه الحلى؟ قالت : أتقرب به إلى الله ورسوله، قال : ويحك هلمى تصدقى به على وعلى ولدى فإنا له موضع، فقالت : لا ، حتى أذهب إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبت تستأذن على رسول الله ، فقالوا : يا رسول الله ، هذه زينب تستأذن ، قال : «أى الزيانب هى ؟» قالوا : امرأة ابن مسعود، قال :« إئذنوا لها» ،

فدخلت على النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ،إنى سمعت منك مقالة فرجعت إلى ابن مسعود فحدثته فأخذت حليا لى أتقرب به إلى الله وإليك رجاءً ألا يجعلنى من أهل النار، فقال لى ابن مسعود : تصدقى به على وعلى ابنى فإنى له موضع ، فقلت حتى استأذن رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « تصدقى به عليه وعلى بنيه فإنهم له موضع »[1] .

وكذلك للنساء واجبات ينبغى مراعاتها ، فقد روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال فى حجة الوداع : « ... فاتقوا الله فى النساء ، فإنكن أخذتموهن بكلمة الله ،واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وأما فى العصور قبل بعثة النبى ﷺ فقد ضرب الله لنا أروع المثل للنساء الصالحات المؤمنات والنساء غير الصالحات ، قال تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم].

نقرر هنا بأن الالتزام بأحكام الشرائع السابقة فى الأحوال الشخصية يترتب عليه أن تطبق كل الديانات السماوية أحكامها وشرائعها فى أمور متعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث وما شابه ذلك من الأمور ، وما ينطبق على المسلمين من ناحية الزواج والطلاق فليس بالضرورة تطبيقها على غير المسلمين؛ لأن أحكامهم وشرائعهم غير منطبقة بالمرة على المسلمين وغير متوافقة، وبهذا المعنى يقول جل وعلا : [المائدة :٤٨].

فاليهود يتبعون شريعة موسى ، والمسيحيون يتبعون شريعة عيسى ، والمسلمون يتبعون شريعة محمد ﷺ آخر الأنبياء وخاتم الرسل، والقرآن آخر الكتب السماوية التى أنزلت على الرسل ، ولذلك ينبغى أن نتنبه إلى هذه القاعدة العامة وهى أن الأديان السماوية عليها تطبيق والتزام بأحكام وشرائع خاصة بها فى الأحوال الشخصية ، وأما الأحكام العامة الشاملة ، فيجب على الكل احترامها والالتزام بها كقوانين الدولة العامة المتعلقة بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والجنائية وما إلى ذلك ، فتطبق على الجميع بدون استثناء .

---

(١) رواه ابن خزيمة.

أسباب تأخر الوفاق بين الإسلام والغرب: [١] .

هناك بعض الملاحظات على موقف الغرب أدت ـ ولا تزال تؤدى ـ إلى تأخر حدوث الوفاق والثقة والتعاون والتسامح (التعايش) الجاد المستمر بين الإسلام والغرب، والتى منها:

١ - يبدو أن كثيرًا من الباحثين والسياسيين فى الغرب لم يعوا بعد أن كثيرًا من الباحثين المسلمين أصبحوا يتقنون قراءة ما بين السطور، وما تتضمنه بعض العبارات من مغالطات مغلفة بغلاف يظهرها فى مظهر الحقائق الثابتة، وأن هؤلاء المسلمين قادرون على الرد المنهجى، والدليل على ذلك استمرار كثير منهم فى تكرار ذات المغالطات الموروثة عن العصور الوسطى، والتى تثبت خطؤها عند كثير من الباحثين الجادين، أيضًا فى الغرب لابد من مراجعة جادة لهذا الموقف غير المنصف الذى لا يشجع على الحوار.

٢ - لعل الغرب لم يدرك بعد أن مرحلة الانبهار اللا محدود التى سادت لفترة طويلة بين المسلمين قد انتهت إلى الأبد، وحل محلها الرغبة الملحة فى المساواة التامة، والاحترام المتبادل بين الطرفين.

٣ - للمسلمين وجهة نظر فى تقييم التقدم العلمى الحديث حسب المفهوم الغربى، فيرى المسلمون أن التقدم العلمى الحديث قد اندفع فى الاتجاه المادى، مهملًا الاتجاه الروحانى فى الإنسان، كما أن الغرب حصد النصيب الأعظم من ثمار هذا التقدم وترك لغيره الفتات الذى يجعلهم دائمًا مرتبطين بالغرب.

٤ - ارتباط التقدم العلمى بالعولمة - علمنة الحياة العامة - يريد الغرب فرضها على الغير ، دون اعتبار لاختلاف المنطلقات الدينية والثقافية للغير. فالبحث الموضوعى فى التاريخ الإسلامى يثبت بالقطع التلازم بين القوة السياسية والعقيدة وهيمنتها على الحياة العامة فى العالم الإسلامى. وقد بدأ تصدع أركان الدولة الإسلامية مع بداية انحراف نظام الحكم عن هذا المنهج وخضوعه للأهواء والرؤى الشخصية، والاندفاع فى فصل أمور الحياة عن الدين، وقصره على الأمور الفردية الخاصة.

٥ - استعلاء الغرب على الآخر، أى تطاول الغرب على الإسلام بغير حق.

---

(١) محمد السيد الشاهد : مرجع سابق ، ص ٧٤٥ - ٧٤٦ .

٦-إن حماس ودافعية الغرب فى تطبيق الديمقراطية وحقوق الإنسان له حدود جغرافية وثقافية، فعلى سبيل المثال: عندما شرعت حكومة أفغانستان فى تطبيق تعليمات متشددة على السيدات ، قامت منظمات حقوق الإنسان والمنظمات النسائية بالمظاهرات المنددة لتلك الإجراءات، والتى طالبت فيها الحكومة الأفغانية بالرجوع عن تلك القرارات (الظالمة).

بينما كان رد فعل هذه المنظمات فى غاية التواضع، عندما كانت الاعتداءات الصربية والكرواتية الهمجية تحصد الآلاف من النساء والأطفال والرجال العزل من المسلمين فى البوسنة والهرسك على بعد بضعة أميال، وعلى مسمع ومرأى العالم الغربى المتحضر، نصير حقوق الإنسان. وكذلك ما يحدث فى فلسطين من مذابح وقتل وتشريد وتجويع من قبل الصهاينة، فأين الديمقراطية، وحقوق الإنسان؟

٧-خوف الغرب من نظام حكم إسلامى قد يجد مبررًا له فى النماذج السلبية الموجودة فى بعض الدول الإسلامية، إلا أن النظرة الموضوعية لنظام حكم إسلامى صحيح سوف تقوض كل أساس لهذا التخوف ، ويكفى لذلك أن تعاد قراءة التاريخ الإسلامى من جديد بموضوعية وتجرد صادق خاصة فترة حكم الخلافة الراشدة.

٨-تركيز الإعلام الغربى بكل وسائله على إظهار الإسلام فى صورة العدو الجديد الذى يهدد الحضارة الغربية الحديثة، بديلًا للشيوعية - بعد إنهيار الإتحاد السوفيتى - يعتبر مخططًا عدائيا صريحًا موجه ضد المسلمين، ترعاه جهات ذات مستوى عال فى النظام السياسى الغربى، وعلى رأسها مؤسسات صهيونية ذات نفوذ مالى وسياسى وإعلامى فى الغرب، هذه الجهات - الشخصيات - قريبة من صناع القرار فى الغرب، ومن أمثلة ذلك: فوكوياما، صمويل هنيتجتون. والإسلام برىء من هذا الاتهام الباطل ذى الأهداف المعروفة لكل مطلع فى هذا المجال.

فنحن - الإسلام والغرب - أبناء كوكب واحد، يديره رب واحد، لا فرق بين شرق وغرب، كلنا جزء من مملكة الله سبحانه وتعالى، نحن عائلة واحدة لرب عائلة واحدة هو (آدم) ، وأم واحدة هى (حواء).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]. فالناس سواسية، والله يأمرهم - الناس - بالتعارف والتعاون لا التناحر والتنابز.

هذا ما جاء به الإسلام . إذًا لماذا نحن نتصارع، هل اختلاف الحضارات هو السبب؟ لا أحسب ذلك، يمكن أن تختلف وتتلاقح الحضارات وتتبادل الأفكار والمفاهيم ولا تتصارع بعضها البعض، إلا إذا وجدت حضارة تتصارع مع الآخرين لتفرض ثقافتها العامة وإلغاء خصوصية الآخر.

وهناك عوامل خمسة تؤدى إلى الصراع[1] :

١- **الجهل**: أى يجهل بعضنا بعضًا، أى يتصور بعضنا أن الإسلام وحش أو القرآن يدعو إلى العنف والعدوان، بل القرآن يدعو إلى السلم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة].. ، فالغرب يجهل الإسلام، لذلك كان الحوار مطلوبًا من الطرفين، فالحوار جزء من منهج الدعوة.

٢-**البغى**: أى الظلم، ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، ظلم القوى للضعيف، ظلم من يملك قوة السلاح إلى من لا يملك، وهذه القضية لا تحل إلا بشعار واحد وهو العدل لكل الناس. قال تعالى:﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء] .

٣-**الطمع**: أى طمع بعض الناس فى ثروات الآخرين من نفط، مواد خام، .. إلخ فيريد أن يستولى عليها دون أن ينازعه أحد.

٤-**الحقد**: أى تحريك العاطفة، الفكرة السوداء التى تعشعش فى فكر البعض، فالإسلام يرفض ذلك أى الإسلام يقبل الآخر ولا يرفضه، قال تعالى:﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون]. فالحروب الصليبية، الغربيون سموها بهذا الاسم، أما المستشرقون سموها بحروب الفرنجة.

٥-**الاستعلاء**: أى النظر لنفسك، ولجنسك بالاستعلاء، وتنظر إلى الآخرين بالدونية، (فنظرية الشعب المختار) أى نحن خُلقنا لنحكم الآخرين، وهذه نظرية مرفوضة، فالإسلام يرفض ذلك.

---

(١) يوسف القرضاوى : (منتدى أمريكا والعالم الإسلامى) المنعقد بالدوحة فى الفترة من ١٧ - ١٩ فبراير ٢٠٠٧، على قناة الجزيرة مباشر.

الإسلام والغرب: آفاق بناء مستقبل مشترك:

إن العالم اليوم ينبغى أن يتخلى كليا عن هذه الحلول الهوجاء، فهو فى حاجة مؤكدة إلى تعميق النظر فى قضايا كثيرة مطروحة تزداد تعقيدًا كل يوم،من أخطرها: التنامى السكانى، الاختلال البيئى، الأسلحة الفتاكة، النزاعات العرقية، الأمراض المستعصية كالإيدز، والمجاعات، والفقر، والأمية .. إلخ ، وهى تنذر بتغير فى قوى العالم سكانيا واقتصاديا.

وكيف نستشرف المستقبل دون الوقوف على الحاضر، وما سبقه من ماضٍ؟ أليست فى الحاضر بقايا الاحتكاكات الأولى بين المسلمين وغيرهم ممن كانوا يسكنون بعض بلاد الغرب؟

أليست الحروب الصليبية رد فعل عنيف عن الفتوحات الإسلامية، ورغبة فى الاطلاع على التقدم الحضارى فى بلاد المسلمين؟

ألم تنتقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا – الغرب – فتطورت بفضلها وقويت وتزعمت العالم منذ بضعة قرون، وبعد ذلك دب الانحطاط فى بلاد المسلمين، وجاء التبشير، فالاستعمار، فالخضوع والتبعية، أليس لكل ذلك تأثير كبير فى فهم الحاضر، واستشراف المستقبل؟

ألا يراقب الغرب اليوم الإسلام والمسلمين بحذر وتخوف نتيجة سوء الفهم ونسبة ما ليس من الإسلام إليه؟ [1] .

ألا يدعو كل ذلك إلى طى صفحات الماضى – الصراع – والاختلاف والتناحر بين الإسلام والغرب، وعقد النية الصادقة لبناء مستقبل مشترك آمن، متعاون، أساسه الحوار، والتسامح والتعاون والاحترام المتبادل؟

فالإسلام مهيا لذلك بفضل مبادئه ومقوماته، وقيمه، فهو دين الإخوة الإنسانية، والحرية، والسلام، والحوار، والتعاون، والتفاهم، والعدل والإنصاف، والتعايش، والبناء الحضارى وأركانه الأساسية: كتاب الله، السنة النبوية المطهرة، الاجتهاد العقلى المستنير بهديهما المتفاعل مع المستجدات الإيجابية المختلفة، فهمًا واستيعابًا، دعائمه الإيمان والعلم والعمل، حرر العقول من زيف الأوهام والأباطيل، واستنهض الشعوب والأمم لتتخلص من العادات والتقاليد ونزعات الاستعلاء والاعتداء والتدمير.

---

(١) عبد المجيد بن حمدة: الإسلام والغرب وآفاق بناء المستقبل المشترك، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٦٤٥.

أعطى قيمة متكافئة لكل من المادة والروح، وجمع بينهما فى تكامل، وأولى المرأة مكانة سامية، وحقق لها المساواة، وضمن لها حقوقها الكاملة، الإسلام دين احترام الأديان والثقافات، وخصوصيات المجتمعات الإنسانية، الإسلام يقوم على مبادئ التعارف والحرية، أقام المسلمون حضارتهم على الإيمان والعلم والإبداع، حضارة لم تحتكر علومها وخبراتها وآليتها، بل نشرتها.

والإسلام يمثل اليوم مليارًا وثلثًا من سكان العالم، فهذه النسبة لا يمكن تجاهلها فى بناء مستقبل العالم.

أما الغرب: هو الحضارة المعاصرة، المسيطرة على العالم تقريبًا، الدول الأغنى، الأكثر تطلعًا إلى امتلاك القوة.

فالغرب لا يمكن فهمه، واستيعاب مكوناته، ومعرفة خصوصياته إلا من خلال دراسة عميقة لحضارته من جذورها الإغريقية إلى تطوراتها فى الدين إلى ثوراتها على الكنيسة إلى التعاطف معها إلى أوضاعها اليوم.

حضارة الغرب هى حضارة علم وتكنولوجيا، وإعلام، ومعلوماتية، وقوة سياسية، واقتصادية، وأسلحة متطورة ومتنوعة، نووية، كيميائية، بيولوجية، جرثومية. أبرز مميزات هذه الحضارة العلم، هذا العلم خطير، يتطور اليوم ويهدد، قد يكون به نفع، ولكنّ فيه تلاعبًا واعتداء على بعض القيم السائدة .... إلخ.

ولكن رغم كل ذلك ، فالغرب اليوم قوة قاهرة مسيطرة على العالم تقريبًا ، لكن السؤال الآن: هل الغرب استطاع أن يحصل على كل دوائه وغذائه من وطنه؟ ما العمل؟ هل نندمج إلى حد الذوبان؟ أم نفكر ونتدبر، ونبحث عن أمثل الحلول؟

فالحل الأمثل هو: الاهتداء إلى صيغ بناء تعاون مستقبلى مشترك قائم على احترام الآخر، والتعاون والتسامح والحوار يحمى مصالح الجميع، ويضمن الحياة الآمنة والاستقرار والازدهار ، أى التعايش السلمى.

وهناك عوامل تساعد على بناء هذا المستقبل المشترك[1]:

١ - الإسلام والغرب - مسلمون ومسيحيون ويهود - من أمة الإيمان، وإذا وجد بينهم من غير هؤلاء تجدهم أقلية - أصحاب هجرة .

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥٠ - ٦٥١ .

٢-يضم عددا من دولهم فضاء جغرافى متقارب، أوروبا وشمال أفريقيا.

٣-لهم تفاعل تاريخى، حضارى إيجابى، أى نقل العلوم والفلسفات القديمة والوسيطة إلى العربية، ثم انتقلت عن طريق العربية إلى لغات الغرب بعد مناقشتها والإضافة والإبداع.

٤-انتشار لغات الغرب الرئيسية فى بلاد المسلمين، مما ييسر التفاهم والتقارب بين الطرفين – الإسلام والغرب .

٥-التعاون بين الإسلام والغرب ضرورى وهام، وهو لصالح الطرفين معًا، ذلك أن فى أيدى المسلمين ثروات إستراتيجية – النفط مثلًا – وفى أيدى الغربيين علومًا وتقنيات متطورة، وكل فى حاجة إلى هذه وتلك.

٦-دعم الشراكة الأوروبية المتوسطة ومساعدتها على النجاح، لتعم وتشمل دول العالمين الإسلامى والغربى.

على أن أهم السبل الكفيلة بإقامة المستقبل المشترك بين الإسلام والغرب هى:

١-الحوار المتكافئ البناء.

٢-التسامح واحترام الاختلاف.

٣-التعاون بنية صادقة فى كل المجالات.

٤-التعايش السلمى.

٥-السعى إلى تحقيق التنمية المستدامة لشعوبها.

٦-العمل على تحسين صورة كل طرف لدى الآخر:

أ- فى الإعلام بجميع وسائله.

ب-فى المناهج الدراسية .

ج - حذف الأخطاء التاريخية من الوثائق.

٧-شجب العنف ومحاربة الإرهاب بكل أشكاله.

٨-العمل على تكريس الحريات العامة، وحقوق الإنسان.

٩-عقد مؤتمرات وندوات بين الطرفين يدعى إليها رجال الفكر والعلماء لتدارس سبل التعاون والتقارب.

١٠ - نشر ثقافة كل الطرفين والتعريف بخصوصيتها.

١١ - تشجيع الحوار والتزاور بين الشبان من الطرفين.

وإن الإسلام والغرب يعتبران أقرب للتعاون والتعارف؛ لما يجمع بينهما من أديان سماوية، وعلاقات تاريخية، وفضاءات جغرافية متعاقبة .

ولعلهما، بل إنهما ملزمان ليكونا قدوة لبقية العالم فى الحوار والتعاون والتعايش السلمى .

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- إبراهيم أبو محمد: تكريم الإسلام للمرأة بين رؤيتين، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ، بعنوان"إنسانية الحضارة الإسلامية"،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢- إبراهيم صالح الحسينى : اعتراف الإسلام بالديانات السماوية السابقة عنصر أساسى فى عقيدة المسلم ، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بعنوان : "حقيقة الإسلام فى عالم متغير" ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٣- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ج٢ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ٢٤٧ هـ/ ص٢٢٧.

٤- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢، ص ١٧ .

٥- ابن قيّم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد .

٦- ابن كثير: البداية والنهاية ،أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى، مكتبة المعارف ، بيروت لبنان ، ١٤٠٩ هـ .

٧- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، طبعة دار الفكر، بيروت.

٨- ابن منظور : لسان العرب ، م ٣ ، طبقة يوسف الخياط ، دار الجبل ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٨٨.

٩- أبو جعفر بن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) ج٥، طبعة المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٨.

١٠- أبو عبد الله الأنصارى القرطبى:الجامع لأحكام القرآن ، طبعة دار الشعب، القاهرة ، ١٣٧٢هـ.

١١- أحمد القديرى : الإسلام وصراع الحضارات ، كتاب الأمة ،سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، العدد(٤٤)ط ، مايو ١٩٩٥.

١٢- أحمد جودة السيد: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام فى البلدان العربية (الواجب والواقع) ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر، فرع المنصورة، ١٤٢٦هـ.

١٣- أحمد صدقى الدجانى: آفاق المستقبل فى علاقات الإسلام والغرب، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان "الإسلام والغرب ، الماضى – الحاضر – المستقبل"،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٤- أحمد طه محمد: المرأة المصرية بين الماضى والحاضر، مطبعة دار التأليف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٥- أحمد عامر: مقومات النظام السياسى الإسلامى وعلاقته مع الآخر ، من سلسلة فكر المواجهة(٢)، ندوة بعنوان :"الإسلام..وحوار الحضارات"،العدد(٢)، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٦- أحمد عبد الرحيم السايح: العالم الإسلامى بين مصادر القوة وعوامل الضعف، القسم الثانى العدد (٦٢)، سلسلة قضايا إسلامية تصدرها، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

١٧- أحمد فراج : حقوق الإنسان فى الإسلام من سمات الحضارة الإسلامية بحث، مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان: «إنسانية الحضارة الإسلامية»، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٨- أحمد محمد الحوفى: مختارات من سماحة الإسلام ، "قطاع الكتب" ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .

١٩- أحمد نصيب لوبيجا : الإسلام والتعايش بين الأديان ، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بعنوان:"الإسلام والقرن الحادي والعشرون" ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

٢٠- أليكس جورافسكى : الإسلام والمسيحية ، ترجمة : خلف محمد الجراد ، مراجعة وتقديم : محمود حمدى زقزوق ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٢١٥) ، نوفمبر ، ١٩٩٦ .

٢١- الأمير تشارلز:الإسلام والغرب "عظمة الدين الإسلامى ودوره فى عالم

المستقبل بحث "مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

٢٢- الأنبا يوحنا فلته : موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية،المساواة فى الحقوق والواجبات ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

٢٣- بشير عبد البارى: نظرة الإسلام إلى المرأة، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية.

٢٤- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى) ، ط١، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٧ هـ .

٢٥- جاسم على سالم : الدين الإسلامى نظام للسلام ، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، بعنوان " حقيقة الإسلام فى عالم متغير " ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣.

٢٦- جعفر عبد السلام: نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، من سلسلة فكر المواجهة(٢). ندوة بعنوان:«الإسلام وحوار الحضارت»،العدد(٢) دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٢٧- جودت سعيد:الإسلام والغرب والديمقراطية ، طـ١، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦.

٢٨- حسن عبد العال: منهجية التعامل مع واقع الأمة وواقع البشرية اليوم فى ضوء اتجاهات العولمة، مركز الدراسات المعرفية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠

٢٩- خالد محمد الأصور: حوار الأديان، أهدافه – شروطه – وسائله، من سلسلة فكر المواجهة(٢)، ندوة بعنون"الإسلام...وحوار الحضارات" تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية"دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م"

٣٠- راشد الغنوشى: حقوق المواطنة، حقوق غير المسلم فى المجتمع الإسلامى ، من سلسلة قضايا الفكر الإسلامى (٩)، المعهد العالمى للفكر الإسلامى هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط٢، ١٩٩٣

٣١- رأفت غنيمى الشيخ: مصالح أم تصادم حضارات ، سلسلة فكر المواجهة (٢)،

ندوة بعنوان :"الإسلام .. وحوار الحضارات"، مرجع سابق.

٣٢- ريتشارد نيكسون:الفرصة السانحة، ترجمة أحمد صدقى مراد، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.

٣٣- سارة بنت عبد المحسن: الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها فى الفكر المعاصر، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الشارقة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٨م.

٣٤- سامى خشبة: دعم الحوار بين الثقافة العربية والإسلامية والثقافات الأخرى، الموقع على النت:**Online"avilable at"www. author.asp**

٣٥- سعيد إسماعيل على:التربية الإسلامية و تحديات القرن الحادى والعشرين، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٥)، السنة الحادية والعشرون، أغسطس – أكتوبر، ١٩٩٧.

٣٦- سلوى عبد الرحمن:دور القيم الأخلاقية فى مواجهة الآثار السلبية للعولمة، مجلة كلية البنات بأسيوط، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥م.

٣٧- سنن أبى داود، طبعة دار الفكر بيروت، د.ت.

٣٨- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣٩- السيد أحمد عبد الغفار: الخدمات الطلابية فى العصر العباسى (١٣٢ – ٦٥٦ هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنوفية، ٢٠٠٠.

٤٠- السيد محمد الشاهد: آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب نحو كلمة سواء بين الإسلام والغرب، مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان:"الإسلام والغرب،الماضى – الحاضر – المستقبل"١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤١- شهاب الدين السيد محمود الألوسى: روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، طبعة دار الإحياء والتراث العربى، بيروت.

٤٢- صالح حسن المسلوت : صدام الحضارت هل هو حتمية تاريخية أم افتعال ثقافى غربى ؟ بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بعنوان "إنسانية الحضارة الإسلامية" القاهرة، ٢٠٠٥.

٤٣- صحيح البخاري طبعة دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٤٤- صحيح مسلم ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت د.ت .

٤٥- صوفى حسن أبو طالب : موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، مرجع سابق .

٤٦- طه جابر العلوانى: الأزمة الفكرية المعاصرة : تشخيص ومقترحات علاج، ط٢، فرجينيا المعهد العالى للفكر الإسلامى ، القاهرة، ١٩٩٢.

٤٧- طه جابر العلوانى:قضايا إسلامية معاصره"الخصوصية والعالمية فى الفكر الإسلامى المعاصر"دار الهادى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،ط١ ،٢٠٠٣م .

٤٨- عبد الخالق عبد الله: العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، سلسلة عالم الفكر، وعنوانها"العولمة ظاهرة العصر"، تصدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، المجلد(٢٨)، العدد(٢)، أكتوبر – ديسيمبر،١٩٩٩ .

٤٩- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة:تحقيق: على عبد الواحد، دار نهضة مصر، ط٣، القاهرة، د.ت .

٥٠- عبد العزيز الخياط: الإسلام دين السلام، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بعنوان"الإسلام والقرن الحادى والعشرون"،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥١- عبد العزيز بن عثمان التويجرى : آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٥٢- عبد العزيز بن عثمان التويجرى : الإسلام والتعايش بين الأديان فى أفق القرن الحادى والعشرين، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، ١٩٩٩ .

٥٣- عبد العزيز بن عثمان التويجرى:علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى، تفاعل لا صراع ، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

٥٤- عبد العزيز بن عثمان: علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى تفاعل لا صراع، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية

بالقاهرة ، بعنوان : «إنسانية الحضارة الإسلامية»، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

٥٥- عبد العزيز محمد عثمان التويجرى:موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان : "الإسلام والغرب" الماضى – الحاضر – المستقبل ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٦- عبد الله بن صالح العبيد : الإسلام والتعايش بين أصحاب الأديان ، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بعنوان" الإسلام والقرن الحادى والعشرون" ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٧- عبد الله بن عبد المحسن التركى : سلسلة فكر المواجهة (٢) ، الإسلام .. وحوار الحضارات، ط ١، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

٥٨- عبد الله منصور : دور المجموعة الحضارية الإسلامية فى حوار الحضارات ، سلسلة فكر المواجهة (٢) ، الإسلام .. وحوار الحضارات ، دار البيان للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٥٩- عبد المجيد بن حميدة: الإسلام والغرب وآفاق بناء المستقبل المشترك بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان:"الإسلام والغرب: الماضى – الحاضر – المستقبل"، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٠- عبد المعطى بيومى: العلاقة بين الإسلام والغرب، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة،بعنوان:"حقيقة الإسلام فى عالم متغير"، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦١- عبد النبى حسن عبد الوهاب : حقوق الإنسان وواجباته فى الإسلام ، القسم الأول ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، العدد (٥٧) ، القاهرة ٢٠٠٠ .

٦٢- عطية محمد مصطفى: الحوار فى القرآن الكريم، موضوعاته.. وأهدافه، مطبعة السماح الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٦٣- علىّ الدين هلال: دائرة حوار حول مصر وتحديات المستقبل، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، معهد التخطيط القومى، القاهرة، المجلد الخامس ، العدد (٢)،

ديسيمبر ١٩٩٧.

٦٤- على جمعة: الجهاد فى الإسلام دراسة تحليلية ، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان:"حقيقة الإسلام فى عالم متغير"،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٥- على حرب:حديث النهايات .فتوحات العولمة ومأزق الهوية، ط١، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

٦٦- على عليوة : وثيقة تربية الطفل تهدد الأسرة المسلمة ، الدوحة ، قطر ، ٢٠٠٠ ، ص ٢١١، الموقع على النت. On line (avialable at): htt.www.is/amon/nc.net

٦٧- عمر سليمان الأشقر:نحو ثقافة إسلامية أصيلة،ط. ١٢ دار النفائس للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٦٨- عمر عودة الخطيب: لمسات فى الثقافة الإسلامية، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٩- غوستاف لوبون: حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر،ط٣، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٠- فرانكلين – ل – باومر : الفكر الأوروبى الحديث : الاتصال والتغيير فى الأفكار من ١٦٠٠ الى ١٩٥٠ ، ج ٣ ، ترجمة أحمد حمدى محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٩ ، سلسلة الألف (كتاب).

٧١- فوزية الزفزاف: مكانة المرأة فى الإسلام، مجلة المرأة، جـ٤، السنة (٧٧)، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٢- فوزية العشماوى: الشخصية القانونية للمرأة المسلمة وآثارها على المجتمع، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،المحور الرابع"نظرة الإسلام إلى المرأة"١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٥

٧٣- الكتاب المقدس : أسفار العهد القديم ، تثنية ، الإصحاح الثالث والعشرون (١ - ٨).

٧٤- الكتاب المقدس : العهد القديم ، أشعياء .

٧٥- الكتاب المقدس: أسفار العهد الجديد ، إنجيل متى.

٧٦- محمد إبراهيم الفيومى : وجوه الغرب المتعددة والعالم الإسلامي ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان : "الإسلام والغرب ، الماضى – الحاضر – المستقبل " ، القاهرة ، ١٩٩٨.

٧٧- محمد أبو ليلة: مكانة المرأة فى الإسلام دراسة مقارنة، بحث مقدم للمؤتمر الدولى.بعنوان:"الدراسات الإسلامية عند غير العرب"،رابطة الجامعات الأسلامية بالاشتراك مع كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر ،١٩٩٧.

٧٨- محمد أحمد العدوى وآخرون: محاضرات فى تاريخ التربية ونظام التعليم فى مصر، جـ١ ، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٨.

٧٩- محمد الأحمدى أبو النور : الإسلام وحرية العقيدة ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، مرجع سابق .

٨٠- محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، بيروت ، دار القلم ، د.ت .

٨١- محمد بن خليل الطبرى : تاريخ الطبرى ،جـ٢، ط١، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان ،١٤٠٧هـ

٨٢- محمد جابر الأنصارى : أنا والآخر ذلك النفس ، مجلة العربى ، العدد (٨٥)، الكويت ، يناير ، ٢٠٠٢م .

٨٣- محمد شفيق وآخرون: الإسلام بين الحقيقة والادعاء "رد على أهم الافتراءات المثارة ضد الإسلام"الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦ .

٨٤- محمد عطية الإبراشى: عظمة الإسلام، جـ٢ .

٨٥- محمد على الجوزو: الحضارة الإسلامية حضارة عالمية، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بعنوان:"الإسلام والقرن الحادى والعشرون"، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.

٨٦- محمد على الصابونى:صفوة التفاسير " تفسير القرآن الكريم " جـ٢ دار الصابونى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٤١٧هـ١٩٩٧م .

٨٧- محمد عمارة: الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟.... ومن ينكر من؟ مكتبة

الشروق ، القاهرة، ٢٠٠١م.

٨٨- محمد عمارة: الغزو الفكرى وهم أم حقيقة،مكتبة الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠م .

٨٩- محمد عمارة: ندوة بعنوان : " الاستنارة بين الذات والآخر .. مقاربة قرآنية لاستشفاف الضرورات. الموقع على النت:

٩٠- محمد عمارة : العالم الإسلامي والمتغيرات الراهنة ، مجلة المسلم المعاصر،العدد(٦١) ، السنة السادسة عشر ، أغسطس- أكتوبر ، ١٩٩١ .

٩١- محمد عمارة:العولمة وقضايا الفكرالإسلامى ، أبحاث ندوة الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية القاهرة ، ١٩٩٩ .

٩٢- محمد عمارة:بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، سلسة قضايا إسلامية تصدرها وزارة الأوقاف المصرية"المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية"العدد (١٢٥)، وعنوانها :"مشكلات العالم الإسلامى فى ظل العولمة"، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦

٩٣- محمد مهدى شمس الدين: الإسلام والغرب الواقع وآفاق المستقبل ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، بعنوان:«الإسلام والغرب، الماضى – الحاضر- المستقبل»،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

٩٤- محمد نورى يلفظ : الإسلام والتعايش مع الأديان ، بحث مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان: «الإسلام والقرن الحادى والعشرون»، القاهرة ١٩٩٩ .

٩٥- محمد وجيه الصاوى: الموقف الإسلامى من العولمة حوار تبادل حضارى، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ٢٠٠٦.

٩٦- محمود عطا حسين عقل: القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية فى دول الخليج، مكتبة التربية العربى لدول الخليج، الرياض، السعودية،٢٠٠١

٩٧- محمود عكام: الحوار من الإنسان إلى الإسلام، من أبحاث الموسم الثقافى الثالث لمنتدى الفكر والثقافة، بعنوان:«الحوار والديمقراطية فى الشرق الأوسط»، ديترويت، الولايات المتحدة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٩٨- محيى الدين عبد الحليم: أصول الحوار الإعلامى مع غير المسلمين بين النظرية

والتطبيق، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنون :«الإسلام والغرب: الماضى – الحاضر – المستقبل»، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٩٩- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، د.ت.

١٠٠- مسند البزار ، طبقة مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت، لبنان ، ٤٠٩ هـ .

١٠١- مصطفى السباعى: اشتراكية الإسلام، مكتبة الشعب، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

١٠٢- مصطفى سيسى: موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ، بعنوان:«الإسلام والغرب، الماضى – الحاضر – المستقبل»، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

١٠٣- المعجم الوسيط ، ج٢ ، طبعة دار الفكر .

١٠٤- منذ خدام :طقوس عاشوراء عند الرفضة، فى الحوار المتمدن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م. الموقع على النت:

١٠٥- الموسوعة السياسية : إشراف عبد الوهاب الكيالى المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٤ .

١٠٦- نادية شريف العمرى: أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١٠٧- نبيل السمالوطى: تصحيح صورة الإسلام فى الغرب. من سلسلة فكر المواجهة (٢)، ندوة بعنوان:« الإسلام..وحوار الحضارات»، تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية، دار البيان للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٣٢هـ / ٢٠٠٢م.

١٠٨- نبيل لوقا بباوى:الموقف من دعوى صراع الحضارت، بحث مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بعنوان:"إنسانية الحضارة الإسلامية"، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٩- الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة، ١٤٠٧.

١١٠- ول ديورانت:قصة الحضارة ، ترجمة ،زكى نجيب محمود، جـ١ ،ط ٤، ١٩٧٣ .

١١١- ياسين بن على: دراسة مقارنة بين سماحة الإسلام والغرب ،مجلة المسلم المعاصر العدد (١١٧)، السنة الثلاثون ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

١١٢- يوسف القرضاوي : المسلمون والعولمة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة، ٢٠٠٠م .

١١٣- يوسف القرضاوى: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٤- يوسف القرضاوى:"منتدى أمريكا والعالم الإسلامى"، المنعقد بالدوحة فى الفترة من ١٧ – ١٩ فبراير ، ٢٠٠٧ م .

١١٥- يوسف القرضاوى:مدخل لمعرفة الإسلام، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٦.

١١٦- يوسف الكتانى : الحوار بين المسلمين والغرب وآفاقه المستقبلية ، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعنوان : "الإسلام والغرب " – الماضى – الحاضر – المستقبل " القاهرة، ١٩٩٧م.